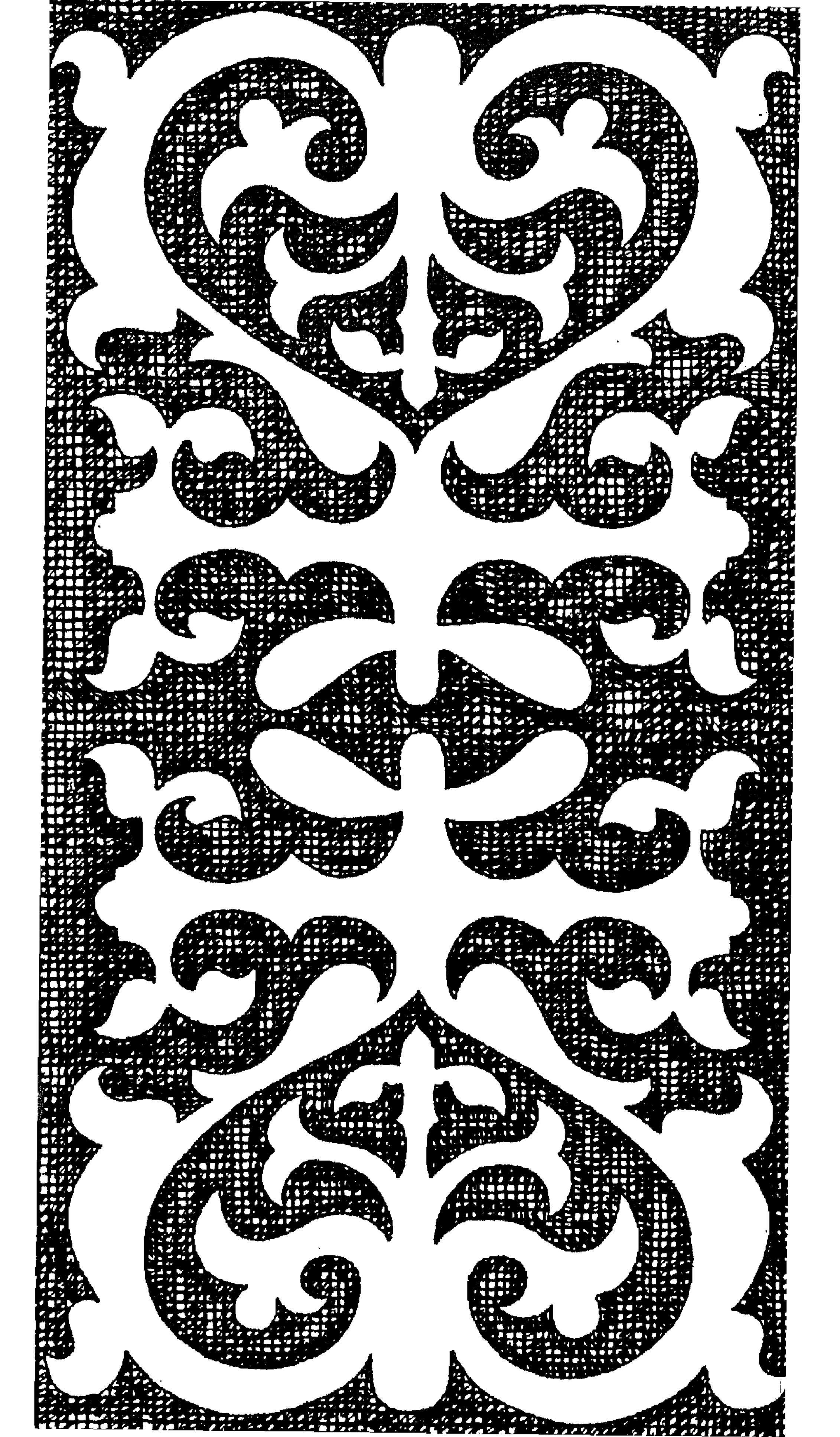
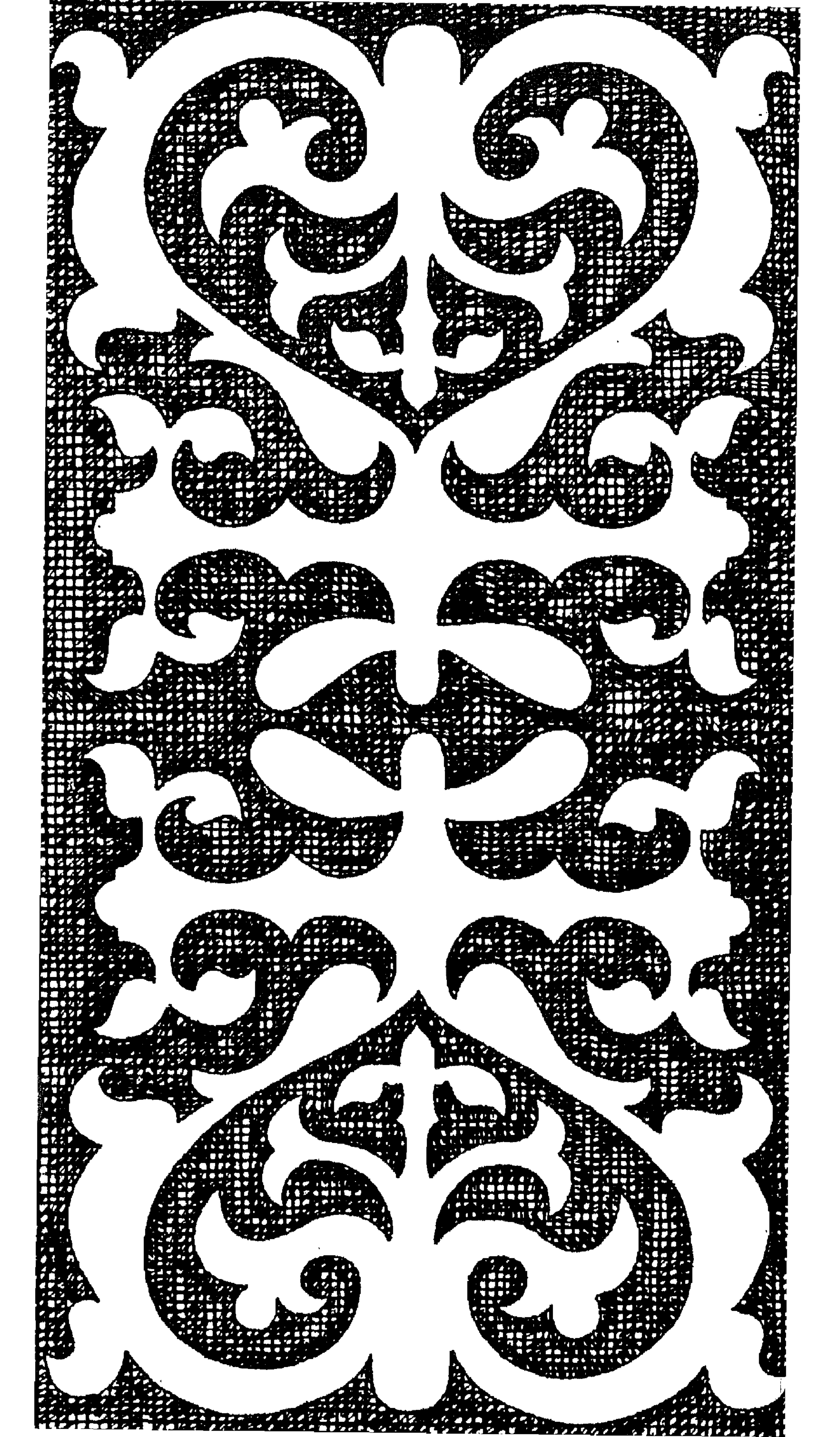
ابای کونانبایف

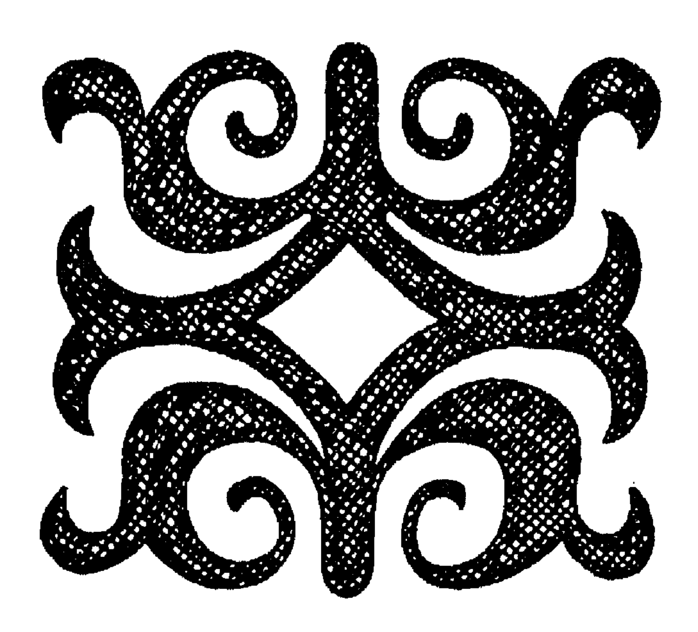




اباي كونانبايف
مختارات شعرية

بمناسبة الذكرى الـ ١٢٥
لمولده

АБАЙ ҚҰНАНБАЕВ



Таңдамалы өлеңдер мен поэмалар

اباي كونانبايف

مختارات شعرية

دار التقدم
موسكو

ترجمة جيلي عبد الرحمن
رسوم فيكتور تشيستياكوف

Абай Кунанбаев
Избранные стихи и поэмы
На арабском языке



أباى كونانبايف
(١٨٤٥ - ١٩٠٤)

لتتأمل فى اعماقى المتأججة
فأنا وطريقى .. غريبان عليك
لقد خضت المعارك الضارية
لأنير الدرب للأجيال القادمة

توجه اباى بكلماته هذه الى جيل المستقبل . وبهذه السطور النابعة من اعماق القلب شق الطريق الى المستقبل النير من الماضى الحالك.

وحمل اباى مشعل الشعر الساطع فى ظلمة الجهل الذى خيم انذاك على سهوب كازاخستان ، وهدى شعبه الى الافاق الجديدة التى كان ينبغى ان تشرق منها شمسه .

لقد كان اباى احجية ولغزا بالنسبة لعصره ولبيئة الجهل التى عاش فيها . ولكنه بالنسبة لنا حقيقة بينة ناصعة . فهو ذؤابة الادب الكازاخى ، وهو شمس الشعر الكازاخى. والآن حيث استعاد هذا الشعب وطنه الحقيقى ، استعاد الشاعر شعبه الحبيب المنور . واصبح اباى الان عزيزا على كافة شعوب وطننا الا شتراكى العظيم .

« لا تلمنى » — قالها اباى مخاطبا الاحفاد . ولكن السوفييت لا يلومون الشاعر ولا يؤنبونه ، بل يبجلونه وتحتفظ بذكراه افئدة الالاف والملايين من المواطنين .

لقد حلت الذكرى التاسعة بعد المائة لميلاد الشاعر * ولقد

---

* كتب مختار اويزوف هذه المقدمة للمؤلفات المختارة بقلم اباى كونانبايف باللغة الروسية عام ١٩٥٤ وذلك بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الشاعر.

مرت خمسون عاما على وفاة اباى . ولكن طريق الشاعر امتزج بطريق الشعب ، ومن هنا سر خلوده .

لقد حلق حصان الروايات القديمة المجنح فوق السهول والهضاب، وطار من قمم التاى الى قمم الاتاو . افلم يصبح اباى ، الذى بذل جهودا كبيرة ليشق الطريق امام الاحفاد ، راية لعصرنا وعزيزا على كل قلب اليوم بالذات ؟ .

وها هو تاريخنا العادل يرد الجميل لذكرى الشاعر الذى اختار القلق والتفكير العميق نصيبا له ، واختار النضال والالام مصيرا مشتركا مع مصير شعبه .

ولد شاعر الشعب الكازاخى العظيم اباى عام ١٨٤٥ فى جبال جنكيز بمحافظة سيميبالاتينسك ، وذلك فى عائلة بدوية من سلالة توبيقطى .

وكان كونانباى والد الشاعر حاكما جهما متغطرسا وشيخا لقبيلة توبيقطى التى انضمت الى روسيا لفترة قصيرة قبل ذلك الحين .

وقضى اباى سنى طفولته المبكرة فى جو الخلافات المرهقة التى كانت تخيم على عائلة كونانباى. فقد كانت لابيه اربع زوجات . واثر طراز معيشة العائلة الاقطاعية هذا على نفسية وخلق ومصير الزوجات المتنافسات وعلى ابناء المتنافسين والمتعاديين فيما بينهم، شأنهم شأن امهاتهم . ولكن من حسن حظ اباى ان امه اولجان كانت امرأة تتمتع بمكارم الاخلاق . فان نزعتها الانسانية وحكمتها واناتها وحبها اللامتناهى لابنها هيأت لاباى هدوء الحياة العائلية النادر فى تلك الظروف . وكانت اولجان تفضله دائما على ابنائها الاخرين واستبدلت اسم ابراهيم الذى اطلقه عليه ابوه باسم التدليل اباى « المتمعن الحذر » . وظل هذا الاسم ملازما لابنها طوال حياته .

وعاش اباى وامه فى صمت العزلة عن كونانباى ، ولكنهما وجدا سندا معنويا لهما فى شخص الجدة زيرا . فهذه المرأة الحكيمة المحنكة والطيبة القلب كانت قد ذاقت طوال حياتها مرارة ظلم المرأة والزوجة ، وقد علقت كل امالها على حفيدها الذى تحبه حبا جما . وكانت عناية هاتين المرأتين وحنانهما وارشاداتهما

تختلف تماما عن كافة تصرفات وعادات وسلوك الاب . وكانت هاتان المرأتان تخففان من لذع برد الحياة القارس الذى حكم على اباى الطفل ان يعيش فيه .

وبعد ان هيأ كونانباى لابنه امكانية التعليم الاولى فى الدار حيث كلف رجل دين بتعليمه، ارسله الى مدرسة الامام احمدرضا امام سيميبالاتينسك .

واستطاع الفتى المجتهد الموهوب ان يحصل على الكثير خلال خمس سنوات من الدراسة . وكان تلاميذ هذه المدرسة الدينية يصرفون الليل والنهار فى حفظ نصوص القرآن غير المفهومة لهم ، وفى اداء فريضة الصلاة خمس مرات فى اليوم وفى الصيام . واذ كان اباى يتقن الفقه الاسلامى ، كان فى الوقت ذاته يوسع من دائرة اهتماماته ومعارفه وفى تلك الفترة سيطر عليه بصورة مبكرة الولع بالشعر . وقد انبجس لديه حب الشعر عندما كان يستمع الى حكايات وذكريات الجدة زيرا ، راوية الحكايات القديمة الحية .. وعندما كان يحفظ عن ظهر قلب الحكايات والاساطير وقصص الابطال والاغانى التاريخية التى كان قد سمعها فى القرية ، اى الابداع الغنى المتنوع للشعراء الشعبيين والمغنين فى سهوب بلاده . وحينما التحق اباى بالمدرسة بعد ذلك اولع بقراءة شعراء الشرق . وكان يلجأ فى جو المدرسة الخانق الى الادب الشرقى الشعبى والكلاسيكى ، كما لو كان يهرب من صحراء قاحلة الى واحة نضيرة . والى جانب الولع بدراسة اللغات الشرقية اهتم بدراسة اللغة الروسية والثقافة الروسية. وخرق اباى نظام المدرسة الدينية القاسى فأخذ يتردد على المدرسة الروسية بالاضافة الى دراسته فى المدرسة الدينية الاسلامية .

ولم يكتف اباى خلال سنى الدراسة بقراءة الشعر ، بل اخذ ينظم الاشعار بنفسه . وتضم اشعار اباى الاولى التى ظلت محفوظة مقاطع غنائية ورسائل شعرية وقصائد حب وغزل نظمت بتأثير الشعر الشرقى الكلاسيكى ، وهناك قصائد ارتجالية نظمها اباى باسلوب الشعر الشعبى على طريقة الشعراء الشعبيين انذاك .

وكان باستطاعة الفتى المتمعن والتلميذ المجتهد والشاعر المبتدئ اباى ان يحصل على كثير من الامور الهامة والمفيدة لمستقبله

حتى فى ظروف المدرسة الدينية . ولكن ارادة الاب حددت مصير الابن بشكل اخر .

ففى ظروف الصراع المستمر بين الوجهاء القبليين من اجل السلطة على العشيرة اصبح لكونانباى كثير من الاعداء من بين منافسيه ، وكان عليه ان يعد ويدرب لهذا الصراع ابناءه واقرباءه. ولذلك لم يسمح لاباى باكمال الدراسة فى المدينة فاستدعاه الى القرية واخذ يعلمه بالتدريج ادارة الشؤون القضائية والاعمال الادارية لشيخ القبيلة فى المستقبل .

وكان هذا الشاب الذى وهبته الطبيعة مواهب وامكانيات خارقة قد وقع منذ فترة مبكرة فى معمعة المغامرات والدسائس المعقدة. فان اباى الذى وجد نفسه فى بيئة الاشخاص المتفننين فى تسعير النزاعات القبلية اتقن ادق افانين المباراة اللفظية التى تستخدم البلاغة الرائعة وحدة الذكاء والدهاء سلاحا لها . ولان قضايا الدعاوى والشكاوى لم تكن تحل فى المحاكم القيصرية بل على اساس القانون الكازاخى المتعارف عليه طوال القرون كان على اباى ان يغترف من كنوز الثقافة الكلامية الشعبية الكازاخية . فمنذ الحداثة احرز عن جدارة واستحقاق شهرة الخطيب الفصيح الحاد الذكاء واستطاع ان يصبح من اساطين فن الخطابة الرائعة ، وتعلم تقدير الكلمة الشعرية تقديرا عاليا . فاذا كان كونانباى واعوانه يقدرون فقط اسلافهم من شيوخ القبيلة ويحفظون عن ظهر قلب خطبهم واقوالهم وحكمهم وامثالهم ، فان اباى ، خلافا لارادة ابيه اهتم بالمنشدين الشعبيين واتقن نتاج كافة الشعراء والزجالين والنظامين السابقين الذين كانوا يتبارون فى ما يشبه «سوق عكاظ» من اجل الفوز بامارة الشعر .

وولد الاهتمام المبكر بالشعر الشرقى الكلاسيكى لدى اباى اشعاره التقليدية الاولى وجعل الاهتمام بتقاليد الشعر الشعبى الكازاخى اشعاره الجديدة اصيلة ومتفردة ورائعة . وكانت تبدو فى هذه الاشعار ملامح الوجه المستقل لشاعر المستقبل الذى تمتد جذور قصائده عميقة فى تربة الشعب .

ويؤكد الكثيرون من معاصرى اباى انه بدأ بنظم الشعر (بشكل اشعار ارتجالية ورسائل شعرية) عندما كان فى الثانية عشرة من العمر . ولم يصل الينا كل نتاج هذه المرحلة الاولى المبكرة جدا . فالى جانب كمية قليلة من اشعار الشباب نجد لدى الشاعر عدة ملاحظات يذكر فيها بعض القصائد المنسية والمفقودة . فنحن لا نعرف غير الابيات الاولى من القصائد المكرسة لحبيبة الشاعر توغجان . وعثرنا على ملخص نثرى شفوى للمباراة الشعرية بين اباى الشاب ، وبين الشاعرة الزجالة كوانديك . وادى ضعف تطور الكتابة فى كازاخستان انذاك الى عدم وجود رسائل ومذكرات وتسجيلات معاصرى الشاعر والتى من شأنها ان تحتفظ باشعار فترة الشباب وتلقى الاضواء على سيرة حياة اباى . وكان الموقف من الشاعر عموما فى المجتمع الاقطاعى البكواتى انذاك يتسم بأهمية ليست قليلة فى هذا الخصوص . فاذا كان الشعب يكن اسمى الاحترام للنتاج الشعرى ويقدر كل التقدير لقب الشاعر فان البايات والبكوات كانوا يقولون متباهين : «حمدا لله ، حيث لم يولد فى عشيرتنا لا شاعر ولا زجال» . وكان موقف البكوات الازدرائى هذا من مهنة الشاعر يفسر عدم الاحتفاظ فى قرى عشيرة اباى باشعاره الاولى ولا بالمعلومات عن اعماله الشعرية فى المرحلة المبكرة لانتاجه. وكان اباى نفسه، بسبب من هذا الموقف، غالبا ما يتلو اشعاره مدعيا انها اشعار اصدقائه الشباب .

ولم يستطع اباى الذى جر عنوة الى قضايا النزاعات القبلية المرهقة السكوت على الظلم وقساوة ابيه وغالبا ما كان يعارض مصالح ومطامع ابيه حيث يقدم حلا عادلا غير متحيز لكثير من القضايا . ولم يكن كونانباى راضيا ابدا عن تصرفات ابنه الجديدة . فلم يكن يرضيه ان اباى قد عثر على اصدقاء وناصحين له من بين ابناء الشعب الشرفاء الاذكياء ، وانه مغرم بالثقافة الروسية منذ سنين ، وحدثت خلافات ومناوشات جدية بين الاب المتسلط الحاذق والابن الصادق غير الخانع ، وكانت هذه الخلافات تكاد تتحول الى قطيعة تامة .

وحلت هذه القطيعة نهائيا عندما بلغ اباى الثامنة والعشرين حيث تهيأت له امكانية تحديد نشاطه فى المستقبل حسب ما تمليه عليه بصيرته وارادته واول ما فعله هو انه عاد الى دراسة اللغة الروسية التى انقطعت فى الطفولة .

واختار لنفسه اصدقاء جددا من بين الزجالين والمغنين الارتجاليين وشباب السهوب المبدعين ، اولئك الذين كان اغلبهم من غير ابناء الوجهاء والشيوخ ، ومن افضل ممثلى المثقفين الروس الذين كان يتقابل معهم انذاك فى سيميبالاتنسك . وعندما بلغ اباى الخامسة والثلاثين عاد الى الشعر من جديد ، ولكنه كان يذيع اشعار هذه الفترة ايضا مدعيا بأنها اشعار اصدقائه الشباب . وخلال عشرة او عشرين عاما اخذ اباى الشاعر الناضج والانسان المثقف يدرس الادب الشعبى الشعرى ونتاج شعراء الشرق والادب الروسى الكلاسيكى على وجه الخصوص . وفى صيف عام ١٨٨٦ ، عندما بلغ الاربعين من العمر نظم اباى قصيدة « الصيف » الرائعة وقرر لاول مرة ان يذيعها بأسمه .

واعتبارا من هذا الوقت قضى اباى العشرين عاما الباقية من حياته فى نشاط شعرى ابداعى غنى للغاية .

وفى ذلك الحين وبعد ان خابت كليا امال الشاعر فى اخلاق ونمط حياة البيئة الاقطاعية المتفسخة اجتماعيا اخذ يبذل كل الجهود للتخلص من هذه البيئة ومقاطعتها . فاباى الذى كان فى فتوته قد شارك عن غير قصد فى الخلافات والنزاعات المستمرة التى كان يسعرها شيوخ القبائل ادرك الآن بكل وضوح مدى الاثر الفتاك لهذه النزاعات القبلية ، والعبء الثقيل للغاية الذى تلقيه على كاهل الشعب ، واخذ الشاعر يدرك المغزى الحقيقى لهذه النزاعات التى تسعرها القيصرية بصورة مفتعلة طبقا لسياسة « فرق تسد » . وصار الشيوخ وحكام القبائل والعمد يتحولون فى انظار الشاعر الى وكلاء السلطة الاستعمارية وكان اباى يفكر بمصائر شعبه والحسرة تعذبه ويسهد لجماهير الشعب الجاهلة المضطهدة المظلومة . وتجسد اشعار اباى الناضجة الم الشاعر العميق بسبب تعاسة الشعب المتخلف .

وكان اباى ابن الشعب البار والشاعر المخلص يبحث عن مخرج لشعبه . وفى السنوات الاولى من نضوجه الشعرى حاول ان يفتح بصيرة الشعب على اسباب الامه . فقد فضح فى اشعاره الصادقة الحادة جهارا وانتقد بلا رحمة عيوب وجهاء العشائر الاقطاعيين ودعا جماهير الشعب الى الاغتراف من مناهل العلم القادر وحده على ان يدل هذه الجماهير الى طريق الحياة الجديدة .

وفى تلك الفترة شاءت الصدفة ان يتقابل اباى مع الثوار الروس المنفيين فى السبعينيات والثمانينيات . وكان هؤلاء الثوار من ممثلى المثقفين الروس الذين تربوا بروح افكار تشيرنيشيفسكى ودوبرولوبوف الثورية الديمقراطية . وكان احد هؤلاء ى . ب - ميخائيليس من انشط العاملين مع الكاتب الاجتماعى الثورى الروسى المعروف شيلغونوف ، بل هو من اقرباء هذا الكاتب . وكان ميخائيليس والثوار الاخرون الذين نفوا الى سيميبالاتينسك فى فترة لاحقة ، ومنهم ليونتيف وغيره ، قد وصلوا الى هنا عندما كانوا شبابا .

وسرعان ما تحول تعارف اباى مع هؤلاء المواطنين الى صداقة متينة . فكانوا يتوجهون الى قرية اباى ويحلون ضيوفا عليه طوال الصيف ويتراسلون معه طوال الشتاء وساعد هؤلاء الوطنيون الروس اباى بكل اهتمام ورحابة صدر على رفع مستوى ثقافته حيث اختاروا له كتب المطالعة وكانوا يجيبون على اسئلته .

وفى ظروف المنفى نضج هؤلاء المنفيون حيث اصبحوا كتابا وعلماء اجتماعيين فدرسوا الحالة المعيشية والظروف الطبيعية والجغرافية للمنطقة التى اصبحت وطنا جديدا لهم . وصار هؤلاء بالتدريج اول من نشر الثقافة فى الاطراف المتأخرة واول من دافع عن مصالح التعليم وتغيير طراز حياة ومعيشة شعوب المنطقة وتاريخها . وكانوا يختلفون عن موظفى المحافظات النائية من مكاتب المحافظين ومديرى النواحى بكونهم، على الاقل ، يعارضون القيصرية ، ولذلك اعتبروا التعليم والتنوير لهذه الدرجة او تلك وسيلة هامة فى النضال ضد القيصرية . وكان من اهدافهم الاولى طبعا اطلاع الناس، من امثال اباى، على تراث الكلاسيكيين الروس وغيرهم من حملة مشعل الثقافة الروسية الطليعية.

وكان ابای بدوره یری فی التقارب بين الادبين الكازاخی والروسی الطريق الصائب الوحيد لانقاذ الشعب الكازاخی من ظلام القرون . واعتنق هذا الشاعر المنور العظيم افكار الاخوة والصداقة بين الشعوب . وحاول فی اشعاره ان يوحی للشعب الكازاخی بضرورة القدرة على التفريق بين الشعب الروسی وبين المستعمرين القيصريين .

ان اصدقاء ابای الذين افادوه كثيرا فی البحث عن المعرفة والاغتراف من مناهلها استفادوا هم انفسهم منه كثيرا ، حيث استخدموا معلوماته العميقة الواسعة فی التاريخ والقانون والشعر والفن والاقتصاد والحياة الاجتماعية لكثير من الشعوب القريبة من الكازاخيين .

وكان ابای منذ حداثته يكن مشاعر الاحترام العميق لتراث الثقافة الروسية العظيم ، وكان يعی تماما المثل المشتركة والمهام المشتركة لتحرير شعوب روسيا روحيا من اسر الجهل والاضطهاد طوال القرون .

واعجب ابای كل الاعجاب بمؤلفات بوشكين وليرمونتوف وكريلوف وسالتيكوف ـ شيدرين وليف تولستوی . فمنذ صيف عام ١٨٨٦ المذكور — ای منذ بداية النشاط الشعری الصريح — اخذ ابای يترجم الى اللغة الكازاخية مؤلفات كريلوف وبوشكين وليرمونتوف وجعلها لاول مرة فی متناول الشعب الكازاخی وبلغة يفهمها هذا الشعب .

لقد كان ابای ملحنا يقدر اعظم التقدير الموسيقى الشعبية الكازاخية التی كان متضلعا فيها . ولذلك وضع ، بالاضافة الى كونه شاعرا ، عدة الحان جديدة واغلبها لاشعاره التی استحدثت فی الشعر الكازاخی اشكالا جديدة لم تكن معروفة سابقا (الثمانيات والسداسيات وغيرها) . ووضع الحانا للمقاطع التی ترجمها من رواية سعرية بوشكين «يفغينی اونيغين ». وفی ١٨٨٧ — ١٨٨٩ جاب اسم بوشكين واسما بطلی روايته اونيغين وتاتيانا السهوب على اجنحة هذه الاغانی ، واصبحت هذه الاسماء عزيزة على الشعب الكازاخی كأسماء زجاليه وابطال ملاحمه الشعرية .

وحتى تلك الاونة اصبح اسم اباى الشاعر والمفكر والملحن واحدا من اشهر الاسماء التى يكرمها الشعب . واخذ يتردد عليه الزجالون والملحنون والمغنون من المناطق النائية . وكان البعض منهم يحذون حذو اباى فى التثقيف الذاتى ويدرسون الادب الروسى ويؤلفون الملاحم التاريخية والرومانسية والواقعية .

واجتذبت شهرة اباى اليه ليس فقط الكازاخيين بل وكثيرا من الناس ذوى الافكار الحرة فى الشرق (واغلبهم من الشباب التتر) والذين ارغموا على مغادرة المدن بسبب ملاحقة السلطات لهم ، او النازحين من القفقاس بعد الارهاب الذى لاقوه من قبل الحكومة القيصرية . ففى قرية اباى كان يقيم شهورا كاملة القفقاسيون الذين هربوا من المنفى فى سيبيريا عائدين الى ديارهم عبر سهوب كازاخستان واصبحت قرية اباى بالتدريج مركز جذب لذوى الميول التقدمية انذاك .

وكانت ادارة المنطقة قلقة اشد القلق من الصداقة المتينة والطويلة الامد بين اباى والثوار المنفيين . ووصلت الانباء عن اباى ، باعتباره شخصا يشكل خطرا على القيصرية الى الحاكم العسكرى فى سيميبالاتينسك والى الحاكم العسكرى العام لمنطقة السهوب . وفرضت الرقابة السرية على قرية اباى وعلى كل ما يجرى فيها . واصبح اباى ، باعتباره شخصية محترمة فى سهوب كازاخستان وباعتباره باحثا شجاعا خطيرا عن الحقيقة ، وفاضحا لعيوب النظام القائم انذاك موضع اهتمام ورقابة الولاة والعمد والمسؤولين .

وفى الوقت ذاته كان الوسط الثقافى للمعجبين بموهبة اباى يتسع من عام لاخر . وشمل تأثيره ونفوذه المدينة ايضا . فاخذ الناس يغنون ويسجلون ويحفظون عن ظهر قلب ليس اشعاره فقط ، بل واشعار اصدقائه ايضا . وانتشرت فى السهوب فى شكل حكايات شفهية روايات الكتاب الغربيين والروس بعد ان قرأها اباى وحكاها لتلاميذه الرواة . وهكذا جابت السهوب القصص المنتشرة بين تلاميذ اباى من امثالى « الفرسان الثلاثة » و « هنرى نافار » لديماس والحكاية الروسية الشعبية عن بطرس الاكبر وروايات فترة محاكم التفتيش ، وكذلك رواية ليساج « الشيطان

الاعرج » التى انتشرت فى السهوب الكازاخية باسم « الفرنسى الاعرج » واشتهرت بالفاظ اباى الروايات حول اوائل المهاجرين الى السهوب الاميركية وقصائد ليرمونتوف وكثير من الملاحم الشرقية مثل « الشاهنامة » و « مجنون ليلى » و « كير اوغلى » وغيرها . وحذا حذو اباى فى نشر هذه الروايات والملاحم اصدقاؤه الكثيرون من ذوى الثقافة الغربية .

وارسل اباى ابناءه للدراسة فى المدارس الروسية . فقد ارسل ابنته غولباداان وابنيه عبد الرحمن ومعاوية منذ حداثتهم الى مدرسة روسية فى المدينة وحصل عبد الرحمن فيما بعد على تعليم جيد حيث تخرج من مدرسة ميخائيلوفسكويه المدفعية فى بطرسبورغ ، بينما عادت غولباداان ومعاوية الى القرية بسبب سوء الحالة الصحية . ولكن معاوية اصبح هنا من اكثر تلاميذ ابيه جدا واجتهادا .

وكان معاوية وابن اباى البكر عقيل باى قد اصبحا شاعرين فيما بعد . ومن افضل ما نظم معاوية ملحمة « مقداد — قاسم » التي نظمها حسب توصية اباى وهى تتحدث عن الصراع بين عبد وسيده الاقطاعى . وتدور حوادث الملحمة على شواطئ النيل .

ونظم عقيل باى ملحمة رومانسية بعنوان « داغستان » .

وحظيت هذه المؤلفات ، شأنها شأن مؤلفات اباى نفسه بانتشار واسع بين ابناء الشعب بشكل مخطوطات وعلى السنة المغنين والزجالين على الخصوص . وبنفس الطريقة وصلت الى اوسع جماهير المستمعين الكازاخيين مؤلفات بوشكين وليرمونتوف .

وكان النشاط الشعرى والتنويرى والاجتماعى المتنوع لاباى واصدقائه موجها كليا ضد الاسس المتخلفة للقرية الاقطاعية وضد الذين يجسدون هذه الشرور من امثال الدساسين القبليين والذين يضطهدون الشعب بفظاظة ، وضد النظام القيصرى المستند على هؤلاء .

واثارت مؤلفات وجهود اباى وبرنامجه الاجتماعى الواضح واحتقاره لكافة المتسلطين حقدا دفينا عليه لدى الاقطاعيين وخدم القيصرية المخلصين الذين خاضوا صراعا قذرا مخادعا مستمرا ضد اباى وضد الافكار التى كانت راية لهذا الشاعر المستنير

غير المهادن . وتواطأ اعداء اباى هؤلاء مع الوجهاء والموظفين ومع السلطات ومع المثقفين الصغار الخونة .

الا ان هذه القوى السوداء كانت تخشى غضبة الشعب الذى احب اباى ، ولذلك لم تستطع ان تعمل ضده بصورة سافرة . فقد اختارت اكثر وسائل الصراع حيلة وغدرا . وجمع احد العمد ، وهو اورازباى عدو اباى اللدود ، ممثلى وجهاء الريف والمدينة المتذمرين من اباى واخذوا يطاردون اصدقاء الشاعر ويفترون عليه ، واخيرا نظموا فى عام ١٨٩٧ محاولة اغتيال الشاعر بكل نذالة وبتغاض من السلطات . وكانت مكاتب المحافظين ومدراء النواحى والمحاكم القيصرية مليئة بالتقادير المتنوعة عن اباى ، وقد كتب هذه التقارير الموظفون وشيوخ العشائر الذين سموا اباى « بعدو القيصر الناصع » و « محرض الشعب » و « خارق عادات وتقاليد وتوجيهات الاباء والاجداد » والشخص الذى «لا يرعوى » . ونتيجة لهذه التقارير اجتاح قرية اباى رجال بوليس سيميبالاتينسك لاجراء التحريات ومرة وصل الى هنا مع فصيلة كاملة من الجندرمة رئيس دائرة بوليس مدينة سيميبالاتينسك الذى اجرى التحرى فى القرية كلها .

وحاول محافظ سيميبالاتينسك التخلص من اباى مرارا ولكنه وهو العارف بشهرة الشاعر اللامتناهية بين أبناء الشعب الكازاخى ، والخائف من تذمر الجماهير ، اضطر الى الاكتفاء بعزل اباى عن اصدقائه المنفيين . وقطع ذلك الصلة الوثقى بينهم وبين اباى . فقد اخذت السلطات تراقب أو تحجب مراسلات الشاعر مع اصدقائه وقرائه من المناطق النائية .

ولكن هذه الاجراءات جميعها لم تستطع عزل الشاعر عن الشعب . فان اباى الناقد اللاذع بلا هوادة ولا تسامح لتصرفات الموظفين والحكام وشيوخ العشائر والعمد وكافة المتسلطين اصبح الناصح الحكيم لابناء الشعب فى كافة المصائب والنكبات . وبسبب من نصائح اباى الحكيمة اخذت قبائل وعشائر كاملة من المناطق القريبة والبعيدة تلتجئ الى احكامه العادلة النزيهة فى القضايا المختلف عليها . فحتى سكان المديريات الكازاخية النائية كانوا يترددون على اباى طالبين النصح فى حل خلافاتهم

العميقة القديمة بشأن قضايا الاراضي والدعاوى الاخرى . ولم يكن من النادر ان يتوجه اليه الناس لحل القضايا المعقدة بين المحافظات بشأن الغارات وجرائم القتل التي لم يستطع الموظفون والسلطات ان يجدوا حلا لها . وكانت هذه القضايا تحل في اجتماعات غفيرة خاصة تسمى «بالتجمعات الطارئة» للنظر في الدعاوى بين سكان مختلف المديريات ، وهي دعاوى بشأن دفع التعويضات للمتضررين دون ذنب من ابناء الشعب الفقراء وبشأن معاقبة الاقطاعيين وشيوخ القبائل الذين يمارسون الدسائس المستمرة فيجرون على الشعب المصائب والويلات .

وكان اباي ، وهو شخص لا يتسم باية صفة رسمية غالبا ما يحل القضايا المختلف عليها باعتباره محلفا منتخبا وكان يأخذ على عاتقه حل هذه القضايا وذلك لكي يخلص جماهير الشعب من النزاعات وينقذها من وقوع غارات جديدة عليها دون ان تكون لها اية جريرة او ذنب ، ولكي يرغم مسعري هذه النزاعات على الاستسلام .

وقد حظي النشاط الاجتماعي والابداعات الشعرية لاباي بانتشار واسع بين الشبيبة الكازاخية خصوصا . ففي كثير من الاجتماعات الشعبية وحفلات التأبين والولائم والاعياد والاعراس كان الزجالون والمغنون ينشدون اغانيه وقصائده . وكان الشبان والشابات يعربون عن مشاعر الحب لبعضهما البعض مستخدمين اشعار اباي . وكانت الفتيات من القرى القريبة لاباي يحملن مع مهر الزفاف مخطوطات اشعار وملاحم واقوال اباي .

ولكن حكام السهوب الحسودين الغدارين الغلاظ لم يطيقوا تلك الامجاد التي لا مثيل لها والتي كان الشعب يضفيها على اسم اباي الذي يكرهونه ، ولذلك كانوا يسممون ايام اباي المليئة بالنشاط الخلاق الفوار .

ووصل بهم الامر الى احط انواع التهجمات القذرة الدنيئة التي جرحت مشاعر الشاعر . فقد حرضوا ضد اباي ابناء اخوانه واعمامه بل وحتى اخاه تاكيجان ، وابعدوا اصدقاءه عنه تارة بالافتراءات وتارة بالتهديدات .

وفى جو الاحقاد الحالك هذا ، كانت وفاة ابن اباى ووريثه عبد الرحمن ، وهو الشاب المثقف النابه ، مأساة حزت فى قلبه والمته اشد الالم . فعبد الرحمن الذى كان يعانى من التدرن الرئوى منذ سنى الدراسة فى بطرسبورغ عمل لفترة غير طويلة بمثابة ضابط فى مدفعية الميدان ، وتوفى فى مدينة فيرنى عام ١٨٩٥ وهو فى السابعة والعشرين من العمر . وكرس اباى لوفاة ابنه كثيرا من القصائد الشاعرية الحزينة التى جسدت الاعتراف القلبى بخيبة الامال واعز افكار ابن الشعب الحزين الذى كان يتوق الى ان يرى فى ولده الشاب مناضلا امينا من اجل الشعب متربيا بروح افضل تقاليد الديمقراطية الشعبية الروسية والفكر الاجتماعى التقدمى . وتحمل اباى ذلك المناضل الوحيد من اجل الحقيقة والحياة السعيدة للشعب والذى ارهق كاهله النضال المرير والحياة العسيرة الاليمة والذى لاحقته جموع الاقطاعيين والموظفين الشريرة الغبية — تحمل اخر ضربة يوجهها القدر : حيث يموت بالتدرن الرئوى ابنه الاخر ، الشاعر المبدع معاوية .

وكان اباى الذى لم يتحمل هذه الكارثة قد رفض وهو فى حالة من اليأس اى علاج لمرضه ، فتوفى فى الستين من العمر فى سهوب وطنه ، بعد ان ظل على قيد الحياة اربعين يوما فقط بعد وفاة ابنه الثانى .

ودفن اباى قرب منزله الشتوى فى وادى جيدباى على مقربة من جبال جنكيز .

لقد صدرت الطبعة الاخيرة لتراث اباى الادبى باللغة الكازاخية فى مجلدين ضخمين . ويضم المجلدان قصائد الشاعر وملاحمه واحاديثه مع القارئ (« النصائح ») وكثيرا من الترجمات . وهذا التراث نتيجة قيمة لافكار الشاعر واهتماماته ومشاعره المتحمسة النبيلة طوال سنين كثيرة .

ان نتاج هذا الشاعر الحكيم يغترف من ثلاثة منابع كبرى واحداها الثقافة الكازاخية القديمة المتجسدة فى الاثار الشفوية والمخطوطة التى وضعها الشعب نفسه فى الماضى . وفى مجرى الاهتمام الوثيق العميق بالتراث الشعرى للشعب الكازاخى استطاع

اباى ان يغترف افضل واثمن ما فى هذا الكنز ويغنى شعره به .
والمنبع الثانى هو افضل صور الثقافة الشرقية التاجيكية والاذربيجانية والاوزبكية . وكان هذا الاهتمام يتجسد فى الاشعار الكلاسيكية للشعوب المجاورة والذى نلاحظه منذ بداية القرن التاسع عشر ظاهرة ايجابية ، طبعا فى الثقافة الكازاخية . اما المنبع الثالث فهو الثقافة الروسية والثقافة العالمية عن طريقها . وكان ابسط اهتمام بهذا المنبع فى عصر اباى - وخصوصا الاهتمام بتراث الكتاب والشعراء الروس الكلاسيكيين الذين لم يكن يعرفهم الشعب الكازاخى قبل اباى ابدا - هو فى حد ذاته حقيقة ذات اهمية تقدمية كبيرة . فقد دفع هذا الامر الثقافة الكازاخية انذاك الى الامام وكان ضمانا لازدهارها فى المستقبل .

وتجلت اصالة اباى الفائقة وموهبته الرائعة فى انه عندما اغترف من المنابع الثلاثة المذكورة لم يشوه موهبته بالتقليد الزائف فاباى ، ذلك الفنان الطويل النفس ، تشبع بالثقافة الجديدة تشبعا عضويا ، ولكنه احتفظ كليا بشخصيته الناصعة شخصية الفنان والمفكر .
وعندما اتجه اباى الى هذه الثقافات البعيدة والتى لم يكن الشعب الكازاخى قد اطلع عليها بعد ، لم يكتف باغناء ادبه بالوسائل الفنية التعبيرية الجديدة ، بل واغنى عالمه الروحى بأفكار جديدة . ان اباى ، شأنه شأن بوشكين شاعر اممى من حيث جوهر ثروته الفكرية والشعرية وهو فى الوقت ذاته شاعر وطنى ، وشعبى دون شك .

ولنلق بنظرة اعمق على تأثير المنابع الاساسية الثلاثة المذكورة على ادب اباى . فهذه المنابع غالبا ما تكون ممتزجة امتزاجا عضويا متشابكا فى شعره الامر الذى يعتبر طبيعيا بالنسبة لشاعر ناضج . ولذلك فعندما نتحدث عن مختلف مراحل نتاج اباى يمكننا الكلام عن هذه العناصر فقط باعتبارها السمات الطاغية فى شعره :

ان اغلب شعر اباى الذى يعود للثمانيات مكرس لطراز معيشة القرية الكازاخية الفريدة وللمصير التاريخى للمجتمع الذى عاصره . والى جانب ذلك يجرى الشاعر اعادة نظر فنية نقدية عميقة للقيم

الروحية لشعبه ويقدم برنامجه الشعرى الجديد المتسم بالطموح الشديد الى اعادة بناء المجتمع . وفى هذه القصائد يقترب اباى كل الاقتراب من التراث الشعبى ولكننا هنا بالذات نرى بكل وضوح الفرق الشاسع بين شعره وبين الادب الشعبى .

فالشاعر لا يكرر الثقافة الشفاهية والشعرية للادب الشعبى بالشكل التقليدى الثابت بل اغنى وعمق الكلمات والصور والوسائل الاسلوبية فى الادب الشعبى واضفى عليها افكارا جديدة ومشاعر تميز مذهبه وفلسفته . فأشعاره تجسد افكارا جديدة ومشاعر جديدة . واثر فى هذه الاشعار بالدرجة الاولى موقف الشاعر غير المهادن من الحياة الاجتماعية فى القرية انذاك مع ما فيها من مخلفات الماضى وظلام الجهل ونزاعات فئة الاقطاعيين الكبار المتفسخة وفقر جماهير الشغيلة وحالتها المزرية .

ولدى اباى عدد كبير من القصائد التى تبدأ بأبيات « تمد الشيخوخة اذرعها » ، و « ايه ايها الكازاخ .. ياشعبى البائس » ، و « اصبحت رئيسا للناحية » ، و « تقاسمت معه كسرة الخبز » وهى توجه النقد اللاذع للجهل والجشع والارتشاء والتطفل وضحالة الذين كانوا يقررون مصائر الشعب الكازاخى . ولاول مرة فى الادب الكازاخى امكن التعبير بهذا الوضوح وبهذا السمو الخلقى عن الموقف الجديد من العائلة وواجب الابوة وتربية الجيل الناشئ ، وعن المرأة وهو الاهم .

فان نصيب المرأة الشرقية التعيسة المظلومة ، الذى صورته الملاحم الشعبية والاغانى اليومية ، اكتسب مغزى جديدا فى قصائد اباى . ويكشف اباى فى شعره عن جوهر روحية المرأه والفتاة وعن اعز افكارها ومشاعرها التى تحدثت عنها قليلا جدا الملاحم والقصائد التى نظمت قبل اباى والتى تكشف بصورة رئيسية عن الجانب الخارجى لمأساة المرأة . ويبين اباى مدى اخلاص وتأثير وعمق حب الفتاة عندما تختار حبيبها بنفسها ، ومدى قوتها وصلابة ارادتها فى النضال من اجل السعادة التى احرزتها بكل صعوبة ويتغنى اباى بالمرأة الكازاخية والام الكازاخية باعتبارها سند العائلة الحكيمة . وهو يتغنى باستعدادها للتضحية بنفسها ، ويتغنى

بحكمتها وثباتها فى الصداقة المخلصة وكمال روحيتها الرائعة الطيبة . وكان ابای يعارض فى اشعاره بكل شدة نظام المهر المشين الذى تدفعه النساء وكذلك تعدد الزوجات واستعباد المرأة ، ويناضل من اجل مساواة المرأة في المجتمع. وكان ابای الذى يوجه ضربات موجعة الى اسس النظام القبلي القديم والى الجمود والكسل يتغنى فى الوقت ذاته بالارادة النشيطة وحب العمل باعتبارهما من الخصائص الضرورية للانسان الحكيم والقادر على ممارسة النشاط الحيوى . وحاول بكل قوة مستخدما اشعاره اللاذعة ان يحطم قوانين الشعر التوجيهى التربوي الجامد الذى كان منتشرا قبل مجيئه. ففى برنامجه الشعري الذى تعبر عنه قصائد : « لا احلق باشعارى فى الاوهام » ، و « الشعر سيد الكلمات ... » ، و « لماذا نرتل اغنيات موجعة ؟ » انتقد بشدة اصحاب الايديولوجية الرجعية ، ايديولوجية الخانات والاقطاعيين التى كان يعتنقها الرجالون قبله من امثال بخار - جيراو وشارتانباى ودولات ، ووصف اشعار هؤلاء بانها « اشعار متهرئة » خالية من الكلمات عن النضال الحازم ضد الجمود والتأخر الذى دام قرونا طويلة وهو يدينهم لانهم لم يقدموا اى غذاء روحى للجيل الجديد ولانهم يلحقون بسبب ذلك ضررا بنضال الشعب من اجل تحويل المجتمع . وإعلن ابای بأن الهدف الاسمى والرسالة التاريخية للشعر الجديد هما فى خدمة الشعب والدعوة الى كل ما هو جديد وكل ما من شأنه ان يعيد تربية المجتمع وتحويله. فالعمل والنضال من اجل حقوق الشعب هما وحدهما القادران على تهيئة الاستقلال لفقراء السهوب وأن الطموح الدؤوب الى المعرفة هو وحده الذى يحمل الحياة الافضل للجيل الناشئ . وكان ابای قد اعرب عن هذه الدعوة للنور والعلم ليس بشكل نصيحة جافة . فان مجمل نظام التفكير الشعرى والصور الفنية لدى الشاعر يوجه المجتمع الكازاخى نحو الثقافة الروسية ونحو الثقافة العالمية عن طريقها . ففى اشعار ابای هذه اعادة تقييم جذرية لاسس المجتمع الريفى وتقاليد الاجداد والحقوق المعتادة والاخلاق الاجتماعية ، فطريق الانسان فى الحياة تحدده الارادة الحكيمة

والاخلاص ونبل المشاعر والنشاط المفيد ، وليس التمسك الغبي بالعادات والتقاليد التي اكل الدهر عليها وشرب .

وتتسم بهذه الحدة وعمق المحتوى في شعر اباي مسألة موقف الانسان من الطبيعة والعمل والنضال من اجل اعادة بناء الحياة . فالشاعر قد ادرك مغزى الوجود البشري بشكل جديد .

وكرس اباي سلسلة كبيرة من اشعاره لاعادة النظر جذريا بكافة اسس الاخلاق الاجتماعية المبنية انذاك على تقاليد وعادات الماضي . ويتناول اباي كافة المسائل والقضايا الحيوية التي كانت تهم الشعب ، وهو في هذه الاشعار بمثابة المعبر عن امال وافكار هذا الشعب . الا ان اباي في هذه الاشعار يبدو شاعرا اصيلا غير مقلد ، وهو يدعو الى الافكار الجديدة ويطبق باستقامة وثبات برنامجه الاجتماعي الفعال .

ومن اوضح ملامح نشاط اباي دعوته للتعليم عن طريق التقارب مع الثقافة الروسية والعالمية . فاباي لا يعتبر الفروق اللغوية والدينية بين الشعوب ولا الابعاد التاريخية التي تفصل بين الشعوب طوال القرون عوائق في طريق النمو التقدمي لشعبه . فقد كان هدفه التعلم من كافة الشعوب التي بنت ثقافتها طوال القرون . وباسم هذه المهمة التاريخية لتنوير الوطن اعلن اباي حربا لا هوادة فيها ضد كافة اسس الماضي وكافة اصحاب الايديولوجية المتخلفة . ولا يستثني اباي في سخريته الشباب الذين لم يكملوا دراستهم فتحولوا الى موظفين ، ولا يرحم الكسالى والجشعين والدساسين الذين يسممون بالنزاعات حياة الشعب العامل الامن .

لقد كان لدى اباي موقف خاص من الشعر الشرقي ومن مجمل الثقافة القديمة والمعاصرة له في الشرق الاوسط .

فالشرق كان قد ترك اثره في اباي منذ حداثته . فقد اطلع على اصول كافة الملاحم العربية والفارسية (وقسم منها بالترجمة الى ما يسمى باللغة التشاغاتية) وكما درس مؤلفات ادباء وشعراء الشرق العظام : الفردوسي ونظامي وسعدي وحافظ ونافوي وفضولي . وكان في تلك الفترة يقلد هؤلاء الشعراء، حيث استحدثت «العروض» في الشعر الكازاخي لاول مرة ونقل اليه كثيرا من الكلمات العربية

والفارسية المقتبسة من التراث الشعرى لهؤلاء الشعراء وبعد ذلك ، وبعد ان عثر اباى فى الادب الشعبى على اسس فنية أكثر ثباتا وحيوية ، اختار من الادب الشرقى الابداع الشعبى مثل : « الف ليلة وليلة » والحكايات والملاحم الشعبية الفارسية والتركية. واشتهرت فى السهوب بلغة اباى ملاحم « الشاهنامة » و « مجنون ليلى » و « كير اوغلى » .

وكون اباى لنفسه روحية مستقلة جسورة للغاية وسعة متناهية للاراء باعتباره مناضلا تقدميا حقا وشخصية ثقافية تربت على الصور الكلاسيكية للثقافة الروسية والاوروبية بما فيها المثل الانسانية العامة ، مثل الخير والواجب والتفانى فى خدمة الشعب والوطن والعمل لخير البشرية المضطهدة. ويلاحظ المرء فى التراث الشعرى لاباى افضل تقاليد الشعر الكلاسيكى الشرقى القديم .. ففى قصائد الحب والغزل وفى التأملات الشاعرية وفى قصيدة « مسعود » الفلسفية الاخلاقية نجد تأثير الكلاسيكيين الشرقيين دون شك . الا ان ذلك ما هو الا الملامح الظاهرية . فان المضمون الفكرى والفنى الجديد وصدق المشاعر وحس الحياة العميق وادراك عالم الاشياء والعلاقات البشرية ادراكا « دنيويا » ملموسا كل ذلك امور اصيلة لدى اباى وغير معتمدة على الصور الشرقية .

وهكذا يحتل العالم العربى الاسلامى مكانته فى نتاج اباى عن طريق مذهب الشاعر المستقل الذى استوعب واعاد تقييم هذا التراث تقييما انتقاديا . ومع ذلك ينبغى ان نشير الى ان اباى لم يكن ثابتا فى هذا الطريق على الدوام .

لقد قطع اباى طريقا طويلة فى التثقيف الذاتى بدراسته الثقافتين الروسية والغربية . فبعد ان بدأ بدراسة اثار بوشكين وليرمونتوف وكريلوف اهتم بادب الستينيات والثمانينيات ، مع العلم بانه احب وفتن كذلك بأدب الناثرين الروسيين العظيمين ليف تولستوي وسالتيكوف - شيدرين ، بالاضافة الى اعجابه بالشعراء الروس . وقرأ اباى الترجمات الروسية لاشعار غوته وبايرون وغيرهما من كبار الادباء الكلاسيكيين الغربيين . كما كان على اطلاع كاف على الادب اليونانى والرومانى .

واستخدم اباى ترجمة ليرمونتوف لبعض قصائد بايرون وغوته فترجمها الى اللغة الكازاخية .

واكد اصدقاء اباى المنفيون (ليونتيف واخرون) على انه كان يدرس بانتظام الفلسفة الغربية وخصوصا فلسفة سبنسر وسبينوزا ، وكان مهتما بنظرية دارون .

وكان اسلوب اباى الا بداعى فى معالجة الادب الروسى الكلاسيكى يتسم بخصائص جديدة فى كل مرحلة جديدة من مراحل نشاطه . فعندما ترجم اباى اشعار كريلوف كان غالبا ما يلجأ الى تغيير القسم التربوى النصحى والاخلاقى لحكايات كريلوف الشعرية حيث يعالجها باساليب جديدة تتناسب وتصورات ومفاهيم الكازاخيين . وترجم اباى اشعار ليرمونتوف بدقة متناهية وولع شديد . ومن هذه الاشعار قصائد « الخنجر » و «خرجت الى الطريق وحيدا» و «هدايا تيريك » و« الشراع » ومقاطع من قصيدة « الشيطان ». ولا تزال هذه الترجمات الفنية حتى الآن من افضل ترجمات الادب الكلاسيكى الروسى الى اللغة الكازاخية .

وكان موقف اباى من بوشكين موقفا خاصا متميزا . فان المقاطع التى ترجمها اباى من رواية شعرية بوشكين « يفغينى اونيغين » هى اقرب ما تكون الى الترجمة الملهمة بتصرف . فاباى الذى اعجب كل الاعجاب بالصدق التعبيرى والشاعرية السامية لصورتى تاتيانا واونيغين ، بطلى الرواية ، استعرض قصتهما مؤكدا على الحكمة والعبرة من مشاعر الحب الحقيقى وقرب هذا الحب من مفهوم الشبيبة الكازاخية ، مع العلم بان اباى تمسك بالتقليد الشعرى الشرقى القديم حيث كشف باسلوب جديد عن موضوعات نتاج الشعراء الذين سبقوه . وبهذه الطريقة نجد « الاغنيات » الشعرية الخاصة بموضوعات ملحمتى « مجنون ليلى » و« فرحات وشيرين » وملاحم الاسكندر المقدونى لدى الشعراء التاجيكيين والاذربيجانيين والاوزبكيين القدامى . ويتحدث اباى بهذا المجال فى قصيدته « الاسكندر » عن الاسكندر المقدونى وارسطو مقتفيا اثر الشاعر الاذربيجانى الكلاسيكى نظامى والشاعر الاوزبكى نافوى . واستخدم اباى طريقة التصرف الشعرى فى تراث الماضى

العظيم عندما عالج ملحمة « يفغيني اونيغين » . مع العلم بان اباى لم يبدل صورة تاتيانا مع ادق مظاهر روحيتها الروسية وتحولت ملحمة بوشكين « يفغيني اونيغين » في ترجمة اباى الى رواية مراسلات شعرية . وعندما وضع اباى الحانا لرسائل تاتيانا واونيغين التي اعربا فيها عن حبهما لبعضهما البعض قدم للمنشدين والمغنين نماذج رائعة من مشاعر المحبين ، واصبح اسما هذين البطلين مشهورين لدرجة ان هذه « الرسائل » كانت تنشد في كل مكان ، بل وكانت رسائل الحب والغرام لدى الشبيبة الكازاخية غالبا ما تبدأ بعبارات من تلك « الرسائل » .

وتبين ترجمات اباى التي كانت لها اهمية كبرى في تطوير الادب الكازاخي الصلة المباشرة بين الشاعر وبين الادب الروسي والاوروبي . فالترجمات تبين هذه الصلة لا غير . ولكن التأثير العضوي العميق لهذه الثقافة وهذه التقاليد الفنية ينبغي البحث عنه في نتاج اباى نفسه وليس في ترجماته . فمما لا شك فيه ان حصيلة التأثير المثمر للثقافة الشعرية الروسية تتحدد في اغناء اباى للشعر الكازاخي باشكال جديدة (فقد استحدث اباى احد عشر بحرا شعريا لم تكن موجودة قبله) ومواضيع جديدة ومحتوى اجتماعي جديد ، مما ادى الى ارتفاع المستوى النوعي للشعر الكازاخي كثيرا . ومع ان ترجمات اباى لشعر بوشكين كانت اندر من ترجماته لشعر الشعراء الروس الكلاسكيين الاخرين ، فان ادب هذا الشاعر الروسي العظيم اثر اعمق التأثير على ادب اباى . ففي شعر اباى كثير من ملامح شعر بوشكين حيث يتجلى ذلك في التأملات الغنائية وفي وصف الطبيعة ووصف المناظر الطبيعية بواقعية تشبه واقعية بوشكين وفي التغلغل الى اعمق اعماق قلب المرأة المحب ، وفي النغم الانساني الشامل للموضوعات الاجتماعية .

لقد هيأ الاتصال الداخلي العميق ببوشكين والادب الشعري العالمي الامكانية امام اباى لنظم اغانيه عن فصول السنة الاربعة واشعاره الغنائية وتأملاته الشعرية وقصائده عن رسالة الشاعر وملحمته عن الاسكندر المقدوني وارسطو .

ويقدم اباى فى اشعاره عن فصول السنة وصفا رائعا لمناظر الطبيعة الكازاخية ومعيشة البدو الرحل الكازاخيين . ولكنه يبدو واضحا فى استيعاب الطبيعة وفى اراء الشاعر بشأن هذه المعيشة المتميزة وفى المزاج الشعرى الذى يلفع هذا الاستيعاب وهذه الافكار اثر السمة الجديدة لاراء ومشاعر اباى ، تلك السمة التى لم يسبق لها مثيل فى الادب الكازاخى .

وفى القصيدة المكرسة للشاعر عموما يقارن اباى بين البيئة الوضيعة المتحجرة التى يعيش فيها الشاعر وبين استقلاليته وصدقه وانفته وافكاره الملهمة المجنحة . وهنا ايضا تشبه اراء اباى اراء بوشكين .

ومما يلاحظه المرء كذلك التشابه الرائع بين موضوعات شعر اباى وموضوعات ادب سالتيكوف - شيدرين . فاباى لم يكتب نثرا فنيا كسالتيكوف - شيدرين ولكنه يهزأ فى اشعاره الهجائية بصورة لاذعة بحكام السهوب وموظفيها وبيكواتها وعمد العشائر . ولذلك فاباى قريب من سالتيكوف - شيدرين فنيا وسياسيا . وذكر اباى فى احدى قصائده الموجهة الى الطلبة اسم سالتيكوف - شيدرين باعتباره الكاتب الذى قدم صورا صادقة تجسد الموظفين ، مضطهدى الشعب . ان اباى يرفض النظام السياسى القائم انذاك ليس باقوال متفرقة جاءت عن طريق الصدفة بل بمجمل مضمون اشعاره ، ولذلك فان تعاطفه مع الادباء الروس الكلاسكيين الذين اعربوا عن المعارضة للحكومة تجلى فى الفضح الصارم للسلطات المحلية التى تمثل الجهاز القيصرى الاستعمارى .

واستوعب اباى المبادئ الجمالية التى وضعها الناقد الروسى بيلينسكى ووضع موهبته وطاقاته فى خدمة المجتمع . كما استوعب بنفس العمق اسس مذهب تشيرنيشيفسكى ، وحذا حذوه فلم يكتف بعرض حقيقة الواقع المعاصر المرة ، بل اصدر حكما صارما على هذه الظواهر المشوهة فى الواقع الكازاخى انذاك .

ولذلك يتضح المغزى العميق لصداقة اباى مع انصار بيلينسكى وهيرتسن وتشيرنيشيفسكى .

لقد ترك اباى اثارا اخرى بالاضافة الى الشعر .

ففى « نصائحه » الفلسفية والنقدية والخلقية عدد كبير من الحكم والامثال والاقوال المأثورة . فهذه الاقوال الحكيمة الموجزة صارت منذ زمان بعيد من ثروات اللغة الكازاخية الفصحى .

ومن الصعب تحديد النوع الادبى « لنصائح » اباى فهى تضم اقوال الشاعر الفلسفية والخلقية والاجتماعية والانتقادية والهجائية. فهذه « الكلمات » التى تتسم تارة بطابع مسالم ، وتارة بطابع السخرية اللاذعة وتارة اخرى بطابع الحزن العميق الذى يلفع هذا الحديث مع القارئ ، تتميز قبل كل شئ باتقانها الاسلوبى الدقيق للغاية لشاعر ذى لغة معبرة ثرة وغنية . وهذه الاقوال الموجهة احيانا الى المستمع مباشرة تحمل فى بعض الاحيان شكل النداء المباشر مع المستمع وجها لوجه . وهنا بالذات غالبا ما يصبح اباى حاكما صارما او انسانا حزينا يتحسر على الشعب ويتألم لمصيره وفى هذه الحالات تتحول « كلماته » الى اعتراف حزين لشخص حكم عليه بان يعيش وحيدا فى عصر الجهل الذى اطبق ظلامه على كل شئ .

وفى ذلك العصر حيث كانت مؤلفات الشاعر توزع مخطوطة كانت « نصائحه » تدرج فى كل كتاب جديد . واقبل على قراءتها ابناء الجيل الاقدم الذين كانوا يطرزون كلامهم باقوال اباى ويتناقشون طويلا بشأن مغزى هذه الأقوال وعبرها . ويبدو ان الشاعر نفسه الذى ادرك سهولة انتشار الشكل النثرى لافكاره المتنوعة العميقة اللاذعة والذى عرف مسبقا نوعية قراء هذا الطراز من الابداع الفنى حاول كثيرا ان يتكلم بلغة هؤلاء القراء ويستخدم تقييماتهم الخلقية .

ولقد كان اباى ملحنا اصيلا موهوبا . فبالاضافة الى كثير من اشعاره التى نظمها عن الغناء والموسيقى وضع بنفسه حوالى عشرين لحنا . فاباى المجدد فى الموسيقى كما فى الشعر ضمن الحانه محتوى جديدا واوجد اسلوبا يختلف عن الالحان الشعبية التى كانت موجودة قبله . وتجلى هنا ايضا تنوع الطبيعة الابداعية لدى اباى .

* * *

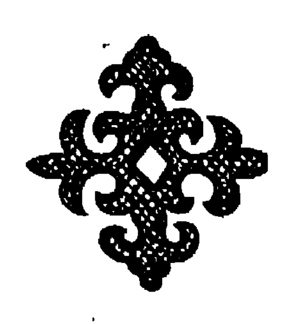
لقد كان ابای المعجب بالعقل الممحص ، ذلك المناضل المنور المتحمس من اجل الثقافة والذی عاش فی وحدة قاتلة فی البیئة الکالحة للعمد والاقطاعیین الجامدین والجشعین والمنافقین ، شخصیة بارزة لیس فی تاریخ شعبه وحسب ، بل وفی تاریخ الشرق الاوسط کله . لقد سلك ابای طریقه وسط ظلام وتحجر عصره ونال النور والسعادة عندما خرج به هذا الطریق الی درب الشعب الذی لن تجرأ علی اتلافه اية قوی شریرة .

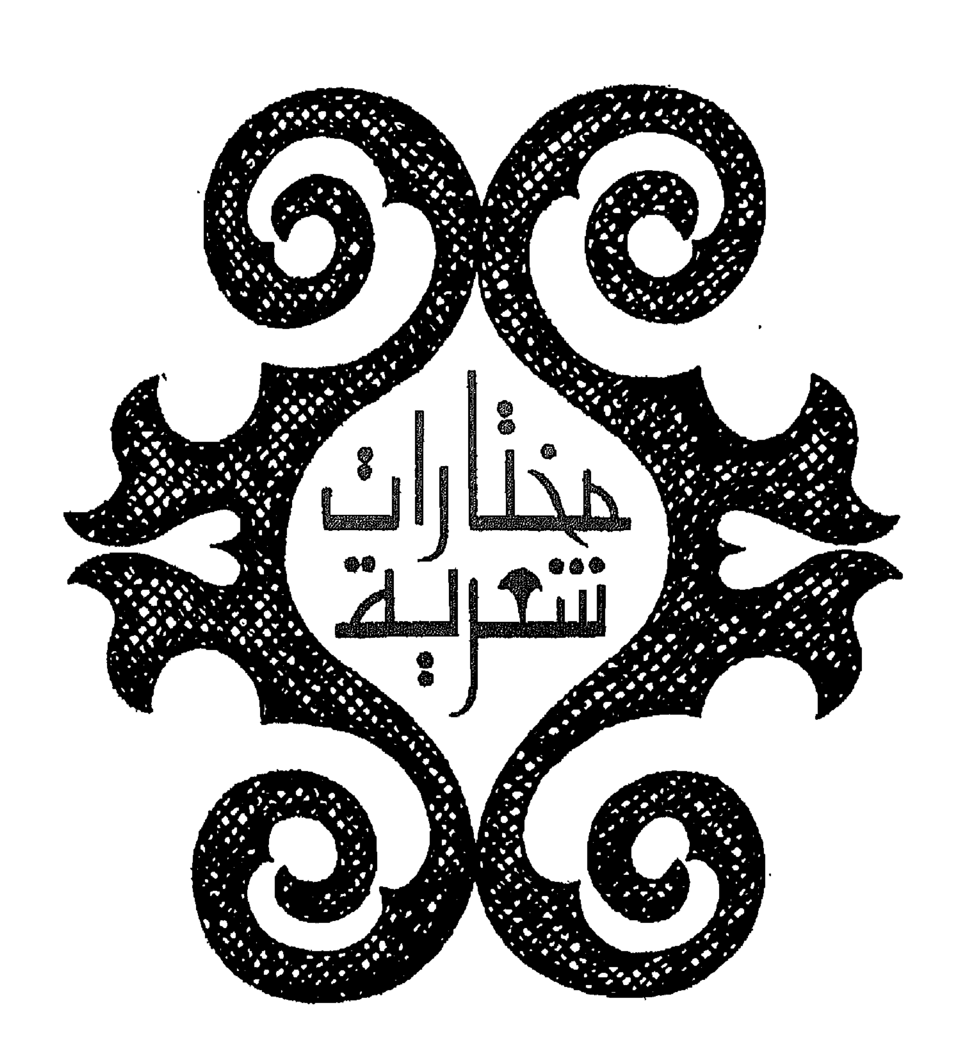
ان جیلنا یعتبر ابای واشعاره الخالدة التی ارتوت من عصارة الشعر الکلاسیکی الکازاخی والروسی ظاهرة مدهشة . فقد استوعب افضل ما فی ثقافة الشعب الکازاخی طوال القرون ، واغنی هذه الکنوز بثمار الثقافة الروسیة. وکان ابای باهتمامه بالتراث العظیم للثقافة الروحیة للشعب الروسی قد وقف علی رأس اکثر الحرکات تقدمیة فی تاریخ الفکر الاجتماعی لشعبه . فابای الذی یعتبر من اوائل الشخصیات المثقفة لدی الشعب الکازاخی کان قد حطم کافة الحواجز التی کانت تحول دون اطلاع المجتمع الکازاخی علی الثقافة الروسیة التقدمیة . وبذلك ساعد علی دمج الشعبین الروسی والکازاخی فی النضال من اجل المستقبل النیر وضد النظام الرجعی الذی فرق بین هذین الشعبین . ولذلك یعز علینا اسم ابای فان اشعاره کانت تصلح حدیثة نضیرة فی الجبهة لدی الکازاخیین الذین دافعوا عن ارض الوطن فی الحرب الوطنیة العظمی والذین عززوا وصهروا بدمائهم اواصر اسرة الشعوب المتآخیة فی الاتحاد السوفییتی العظیم .

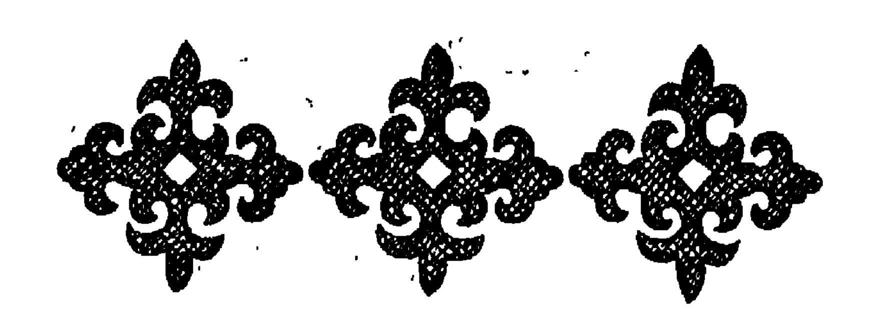
لقد اصبح ابای الذی سار مع افضل ابناء وبنات وطنه عبر سنوات القتال عزیزا علی جیلنا الحدیث بصورة اکبر واعظم .

ویتجلی فی ذلك اسطع برهان علی مجد ابای الذی لا ینضب باعتباره البانی الحقیقی للثقافة الکازاخیة الجدیدة ، وباعتباره القمة اللامعة فی الشعر الکازاخی الکلاسیکی .

مختار اویزوف




مختارات
شعرية



كان يشدنا الحنين للصيد
والصقر يتلهف للثعلب الداهية
حسبنا جواد اصيل ، ورفيق
صادق الود ، وزاد للطريق الوعر .

نخب فى الوادى حتى مصب النهر
تتلاشى الاثار التى ينبشها المخادع
ويقف حامل الصقر على قمة الجبل
يترقب ركض الوحش فى الدغل .

الصقر المتوحش ... تتوقد نظراته
مسنونة كالرمح ... ترتمى على البعيد
يلمحها الثعلب .. مندسا بين الصخور
فات الاوان ... فمن ورائه تعوى الريح .

الطريق تلتوى ، والقمة شاهقة
لا مهرب من العين الجائعة للدم
النظرات مشدوهة ، والفم فاغر .

لا مناص من القتال .:. حتى
الرمق الأخير .

تهرول الخيل فى رحلة الصيد
وتلتوى الأعناق على اعنتها
لا يرفع الثعلب راية الهزيمة
.. يشرع للعدو اربعين مدية .

الصقر العاتى بمخالبه الثمانية
لا يتراجع امام كائن !
لجناحيه صفير رهيب
وهو ينقض مثل القدر .

الصقر والثعلب يلتحمان ،
فى صراع الجبابرة المضنى .
من يا ترى يتضرج فى الدم ؟
حين تنزف الجراح ... على صدى
القهقهات !

ما أروع ان تختلط الألوان :
حسناء تستحم فى بحيرة الضياء
تمسح شعرها الحالك
وترش النور على بشرتها البضة .

يختفى عنقها الارجوانى ...
تحت برقع من ضفائرها المتهدلة
عندها ينتفض الصقر .. مرتعش الاوصال
يفرد جناحيه فى نشوة عارمة
مثل يافع يضج بالفتوة ،
يحتضن عروسه ذات الحسن الفاتن !

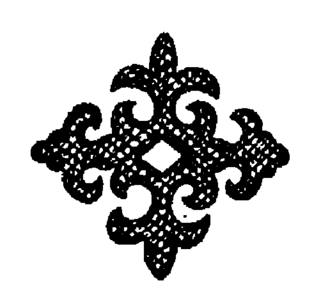
يتهادى صاحب الصقر ... كالطاووس
ونلتقط انفاسنا المجهدة !
وحينما نشارف خيام القبيلة
يزغرد الفرح فى صدور الناس :

الصخور الوعرة ... والنسائم العذراء
ـ والصقر الذى يشاركنا الرحلة
تمسح عنا ادران النفس
فى هذا العالم الأسيان .

متاع الدنيا لا يمنح السكينة !
يا من تزنون الكلمات كالذهب
ان اردتم ان تشرئبوا للأعالى
ان تضئ السعادة خرائب النفس
فلتهرعوا على ايديكم الصقور ...
الى رحاب الغابة البتول .

ان طرقت ابياتي قلوبكم الصماء ...
فأعدوا الصقر لرحلة الصيد .
حسبنا جواد اصيل ، ورفيق
صادق الود ، وزاد للطريق الوعر .

اعوام ١٨٨١ – ١٨٨٥



جبهة فاتنتى كالذهب الخالص
عيناها كحيلتان تومضان بالضياء
اى ريشة رسمت حاجبيها
الذين يذكراننى — فى اساى — بالهلال
الوليد !

لتستغرق فى البهاء الالهى
اسنانها عقد لؤلؤ يشع
الأنف دقيق ، ورشيق
والخد متورد ... بض !

فى بسمتها تشدو البلابل
وعنقها تياه كالاوزة .
وهذا الذقن الاسمر ،
لم يلاطفه احد بعد .

هيفاء القوام كالدالية
تفاحتان ، ناضجتان ... لا أحلى !

وشعرها الحنون ... الحريرى
يتماوج مثل ضفائر الليل .

هل تهب حسناء قلبها ؟
لخامل بلا موهبة !
يتسكع فى الاسواق
متبجحا بالمعرفة !
متعجرفا يتهادى عجبا
يتيه خيلاء ، وادعاء
احلام العصافير ... افقه
وروحه فارغان ... كالكهف !

التواضع درة العفاف
فلا تتصنعن الشمم !
فالثرثرة بلا حياء ...
باب الى التهلكة :

الحب قطر فى الجفاف الم،
تفيئوا فى ظله الوريف ،
نسغ يدب فى الجذور .
شىء يذر فى خطاه النور !

اعوام ١٨٨١ – ١٨٨٥

تمد الشيخوخة اذرعها
فتخنق الروح .. وتشعل الأسى
من يا ترى ينصت لأنينك الرعيب؟
وقد خلفتك وراءها مركبة الزمن .

لن يعود الماضى من مقبرة السكون
فقد ولدنا للنهاية الفاجعة.
السعادة ترجع القهقرى
وتتهشم اصداؤها كالخزف .

الخامل فقير الفكر والروح
وحيد كالعنزة الجرباء.
فلتنتصر روحك فى النضال
ولا تلقين بنفسك فى احضان القدر.

يغرق الناس فى التبجح والمباهاة
صدئت ارواحهم فى التراب
والخسة هاوية بلا قرار ...
تنزلق فى قاعها النفوس الهشة.

ينبغي ان نصون الحياة روائعها
ان نكتسب الطيبة والعقل الراجح
فالعار ان نقتل الوقت سدى ،
في الترهات والاباطيل.

الالوان الزائفة الخلابة
تثير لعاب الاحمق ،
وعينه التي تعشى في الشمس ...
تنبهر بالأزياء والاصباغ .

متى ينتصب ميزان العدل ؟
ويسبر الناس اغوار الاشياء
تختفي الببغاوات والزعانف
وتستيقظ الضمائر الغافية .

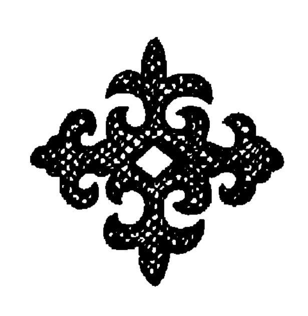
ثمة من يضع السم في العسل
وينصب الشراك لأصدقائه
فان اشرق عليهم نور الحظ ،
يوما .. صاغ الزلفى والرياء !

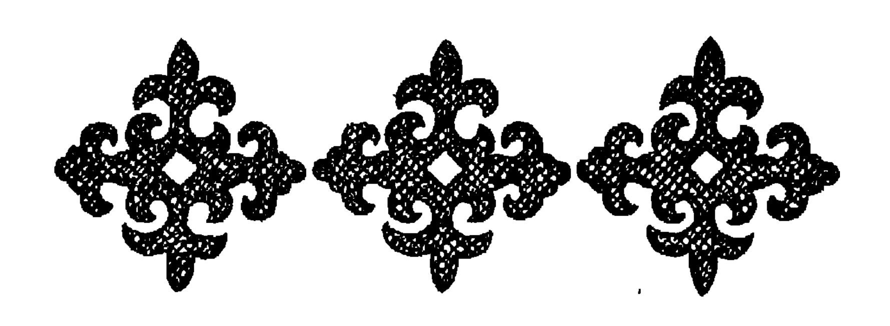
احزان الناس كالسحاب
تمطر في قلب الرحيم ،
والجاحد وحده لا يأسى
والدهر خئون لا تؤمن غوائله .

ان كنت ذنبا للأفعى
وتوجتك الاكاذيب والحيل
وانتفخت اوداجك زهوا
فلست النذل الوحيد فى العالم .

ان مدت الشيخوخة اذرعها
حذار ان تشيعك اللعنات .
ولدنا للنهاية الفاجعة ...
فمن ينصت لأنينك الرعيب !

عام ١٨٨٦





ايه ايها الكازاخ ... يا شعبى البائس
شواربك الكثة تحجب الافواه ...
الدم فى خدك الايسر ، والأيمن متخم بالشحم
فكيف الطريق الى الحق ... واين حجاك ؟

الاعراب التى تهيم فى الوادى والقرى
صمت اذانها عن النصح الرشيد
وسيقت الى مرابض الضلال
امتص الجور دمها ... حتى النخاع .

متى تمسك زمام امرك بيديك ؟
اشباح الاحلام ... تطاردك فى اليقظة
وانت تحدق فى المهانة والذل
مؤرقا فى تقلبك الابدى .

كيف آمل فى صحوتك يا شعبى ؟
ان لم تمتلك مصيرك للابد !
لقد شوه الأنذال ورعاع الناس ،
روحك الباسلة ، وتاريخك المجيد !

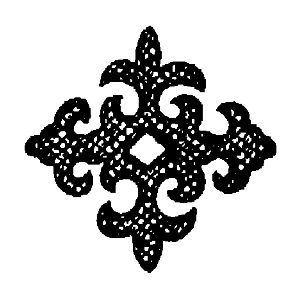
الى متى يتصارع الاشقاء ؟
وتميد الصفوف بالحقد
وتحوم على الأفق الغربان
تنعق بالشؤم ، وسواد المصير.

لست منك يا شعب الكازاخ البائس
لم اشب فى رمل البادية الساجى
صلبا كالصخر ... وشامخا كالجبل
ان لم تمزق الكرى ، وتنتفض !

ضلت خطانا فى متاهات البيد
فهل تلف السكينة عناء الروح ؟
والجهل يضرب بأوتاده فى الارض
والجبال يوشحها الفقر والاهات .

عزفت لك انشودة الخلاص
فألقيت بها ... سخرية وقهقهات
ايه ايها الكازاخ ... يا شعبى البائس
ما أتعس هذا المصير الفاجع ؟ !

عام ١٨٨٦



الباى مترف يمتلك القطعان
ضجت بها زرائبه ، ومضاربه
هيهات ان يهدى لوجه الله ،
شيئا ... فوراء كل هدية غاية !

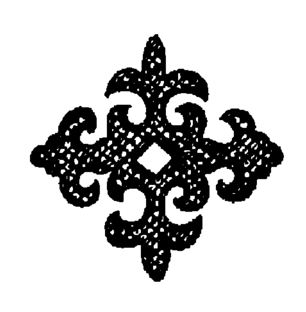
اناس يتنفسون حقدا
يقضون الحياة فى توجس
يهرعون زرافات الى المدينة
فى رحلة الضياع والخسارة !

يشربون من نهر الخداع !
ويلغطون بالوشايات والاراجيف
ضمرت خيولهم من العناء ،
ولهثت من وعثاء الطريق !

الذكى ... من يلهج بحمد الباى !
والشجاع ... من يعقد الصمت لسانه !
لحية وقورة ، ومسبحة طويلة
وروح عجولة ... تقطر احتيالا.

كتب واحسرتاه من الأزل
ان تكون السطوة للغنى
واذا رحل عنا طاغية
انبثق غيره كثيرون .

عام ١٨٨٦



احببت بكل ذرة فى دمك :
لتحترق ما شئت فى النار !
فالشباب الخنع تتضرع وجنتاه
مثل الورد اذا ابتل بالماء .

لا تلق بالا للسفاسف
وزن الكلمات والافكار
ماذا تخفى وراءها المعانى ؟
من كنوز الخبرة ، وحكمة الايام !

الشباب الباسل كالنبع الثر
يموج بالمرح الغامر
يبسم من اعماق القلب
تمنحه الحياة .. الحب والايمان .

الفتوة تلهم المثل ...
ترود افاقا بلا حدود
يتمرغ الادنياء وحدهم ،
فى وحل الانانية والذل.

ان قاسمت اللقمة مسكينا
رفت وردا .. ورياحينا
فلتفرد اشرعة الحب
وامسح دمع المحزونين.

الكلمات الطيبات والهدى
شحيحة ... كقطر الندى ،
تتلاشى فى هذى الايام
ويوصد الجار .. بابه مرتعدا !

هل يعرف الحمقى ... الفرحة ؟
تتفجر ينبوعا ... رقراقا !
فالقلب الاصم الصخرى
لا يخضل بطل البسمات !

اياك ان تغرق فى الشهوات
مثل الكلب الذى يلهث .
كتب على جبين الداعر
هذا مخلوق بلا حياء؛

قد يخدع المظهر الجميل
فيعصب الفتون عينيك
تخر خاشعا على الجبين
مطلقا لرغباتك العنان؛

من يغير النساء ... كالأزياء
تنطفىء شهوته العارمة .
يستوحش كالذئب فى البرارى
ان احيط بالوفاء والامانة .

فاتنة تهبك حياتها فداء
تتغلغل فى حناياك ودا
تسمع كل نبضة من قلبك
كلل جبينها بالمجد .. والخلود .

واخرى كالبعير يسهل انقيادها
جمالها ذابل ... وروحها منطفئة
يستهوى فؤادها الثناء
لا تصون عوضها وتهدره !

لو أظلك الحب والحنان
واورقت عائلة سعيدة
وضم جسمك المنهوك عش ،
فأى سعادة ابقى لديك ؟

لينة مثل العود اللدن
تتعطر انفاسها اريجا
هل تتقول عليها الألسنة ؟
ان كانت راجحة العقل !

مسكينة تذوب كالشموع خجلا
بيتها مهدم ، ومهرها رخيص
اقدم على الزواج لا تتغابى
ولا تول وجهك شطر الموسرة !

حين يزورك خل او صديق
ليضوىء قلب الزوجة الفرح
لا تنزوى مشجوبة الجبين
مكتنزة بالشر وجنتاها.

الاصدقاء كالجواهر النادرة
غالية ... لكنها لا ترى
فابحث عن اللؤلؤ والمرجان
وارم بالاصداف فى الدروب.

القهقهة الفارغة التى تدوى
تطن فى الاذان كالذباب
كالدر تومض الجباه بالعرق
والخبز حلو فى حلوق المجهدين .

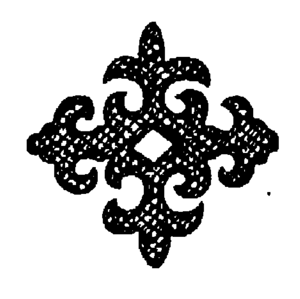
تجارة رخيصة ... بضاعة الكلام
فاكبح جماح اللغو والفظاظة
اللفظ سيف مصلت عليك
حذار ان يغوص فى حشاك !

عقيمة ... صداقة الايام
فارغة ... افرغها الجوفاء
ما اثمرت سوى السباب والهزال
والدمع فى العينين .. كاللآل .

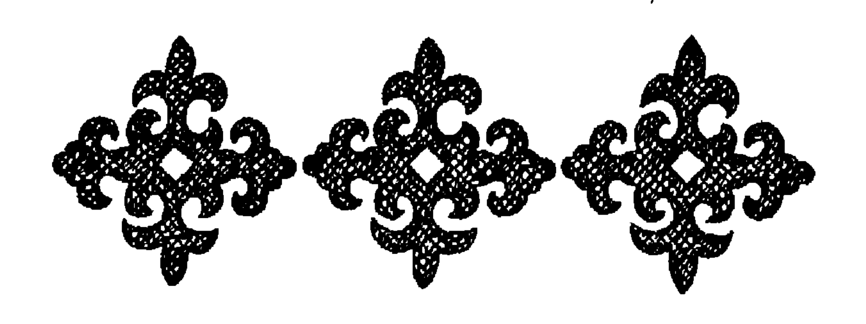
«من يحفر جبا لأخيه
لا بد ان يقع فيه »
حكمة الاجداد والدهور
فلتلذ ... بواحة الضمير .

المجد للباسل والجسور
للأنف الاشم ... والمقدام
والعار والمذلة
لمن يمد للصغار ظله :

عام ١٨٨٦



3—2634



اذا انفرط عقد الجواهر ... فلن يضيع
سيلتقطه من التراب انسان ما
وكلماتى كالدر لن تذهب سدى
ابثها للجميع .. حتى تهز الاعماق
لتموتوا بغيظكم يا من تعذبكم اشعارى
فالمثل يقول : الكلاب لا تعرف اللآلاء.

من يذهب الى السوق ... لن يفقد حريته
ليشتر كما يريد خبزا .. او لؤلؤا
فقد صنعت النقود للشراء والتبادل
ولكن كلماتى لا تباع .. او تشترى

انها زاد وملاذ لمن يعيها
تبعث الدفء وحسن الطوية
لتموتوا غيظا يا من تعذبكم اشعارى
فالحق ان الكلاب لا تعرف اللآلىء .

عام ١٨٨٦

الصيف

حينما تذبل في لظى الصيف
الأعشاب والحشائش والأوراق
نشد رحالنا وخيامنا
حيث تنحدر الأنهر الجبلية
وتستقر مضاربنا في المنتجع
يشنف اذاننا صهيل الخيل
وتهتز ارداف الافراس مرتعشة
يقف القطيع على حوافي الماء
كباقة مختلفة الألوان
يهز اذياله في خمول
حينما يعضه الذباب المفترس .
صغار الخيل تركض جذلى
في حلقة رقص بهيجة
وهي تجر القطيع وراءها !
يتصاعد صياح الاوز للسماء
وينزلق البط عائما في البحيرة

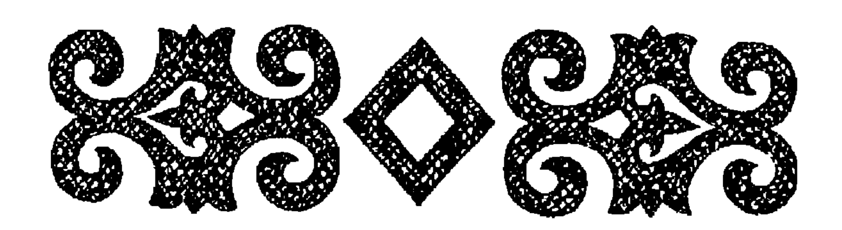
وتنصب الحسناوات الخيام
تتفجر ضحكاتهن طافحة بالبشر
ومن بعيد تلمع صهوات الخيل
اجتازت القبيلة الرحلة بسلام :

الباى يلحق بمضارب القوم
على صهوة جواد ... اشهب
يتحلق الناس على القرب المترعة
ويكرع المتعبون لبن الخيل
تهللت لحى الشيوخ المهيبة
وساد اللغط ... ورف الامان
تطهى الامهات اللحم والثريد
فيثرثر الاطفال صائحين
يثغون ، يحجلون كالحمائم .
وفى الظل الذى يمتد فى تموج
يجلس الباى مع علية القوم
يرتشف الشاى فى ابهة وجلال
الصمت يخيم والناس يصغون
فحديثه لبق ... مسحور الكلمات
يبهر السامعين ... ويأخذ بالألباب .
وفجأة يلوح شيخ وقور
يرتكز كالشبح على عصاه
متلفعا بعباءة بيضاء ،

يهذى ليثير انتباه الباى
رن صوته الجهورى فى الرعاة
« الا يعرف القطيع المكان ؟ »
يشفق الباى على العجوز الهرم
ويدعوه الى شراب لبن الخيل
فيختال مهتزا ... حيث يجلسون .
الرعاة يهرولون على الخيول الجامحة
يقودونها الى مرابضها لتنام .
وفى البعيد على المدى مهرجان :
ابن الباى وزمرة من الشباب
البنادق فى ايديهم والصقور
والجارح المغوار ينقض فى جلال
يجندل الطير بضربة من جناحه .

العجوز الذى هدمته السنون
يجرجر عصاه وايامه
وبسمة بلهاء .. تفغر فاه
عبثا كان يتملق الباى بالنكات ...
فى موكب الصيد الهادر ... والقطعان .

عام ١٨٨٦



طعم العلقم فى حلقى وحياتى تنصرم
مديدة ... لم استثمر كنوزها المعطاءة
هل تعلم معنى كيف تلوك كلمات جوفاء ؟
وانت زاخر بالفكر ... جياش بالمعانى !
ها أنذا فى غمرة الحياة مع الاخرين
لم ينزعنى ظلام الجهل من هاوية النفس
اصبحت اقهقهه فى الفراغ .. وابعثر الكلمات .

من يثرثر بغباء ، ويذم ، ويغرق فى المدح
نقول لمثل هذا الانسان « ليس بكازاخى »
فنحن نسقط المنافق من حسابنا ،
حين يتكلف البسمة ، ويخفى البغضاء
ينحدر ، وتتلاشى ملامحه كانسان.

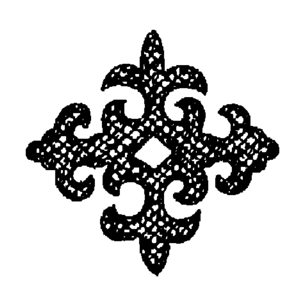
يقتلنا تقلب الفكر .. والتسكع
ضاعت الثقة فى وفاء الصديق
تداس كرامتنا .. ونهين سوانا !
ونضمر فى نفوسنا الحقد البارد .

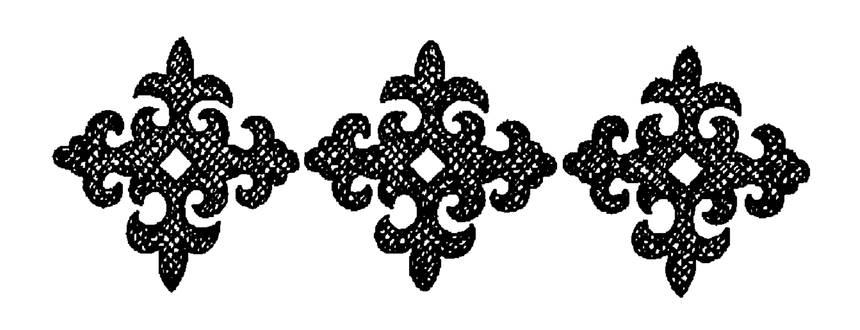
الحب يفترض التماثل الروحى
والوفاء لا يعرف القطيعة

لا احد يدفئنى بالمودة
خلت الارض من الاصدقاء
فلذت بمحراب الشعر
يبدو العالم بحرا لا يحتضن
روحى النقية .. لا تستطيع خوضه .

الصداقة هبة من السماء
كانت لدى حفنة قليلة
مزق الجهل المسعور اوصالها
وضاعت فى مهب الريح .
تهيم النفس على وجهها
فى صقيع الوحدة القارس
يحرقها الشوق والحنين
ويا عجبا ... كل اصدقائى
خانوا عهدى .. كل بطريقته .

عام ١٨٨٦





تقاسمت معه كسرة الخبز
والسر ، والفكر ، والزمان
ثم باع الذكريات الغالية
لا تفجأ لك الاحداث من انسان كهذا
وتعقد لسانك بالدهشة !
لا ينفطر قلبك حزنا وكمدا
ان مد يد العداوة والبغضاء .
يضطرم بالعداء .. والضغينة
وينتفخ شدقاه بالزهو الكاذب
له وجهان قبيحان ، وخادعان
يلتقى بمن يرميك بالبغضاء
يتجاذب معه اطراف الاحاديث
مؤكدا له .. انك لا شئ تماما
ضئيل .. كحبة رمل فى صحراء.

ويقابلك بقناع اخر يرتديه
يثرثر بصوت مدو عن الحب
وكيف ان وده صادق وعفيف

« انه يتقرب الى فؤاد عدوك
ليستل منه الأسرار لك
يقسم بتراب الموتى ، والقديسين
وبالله ... ولا يذوب خجلا .
كم يمرغ الحقائق فى الوحل
يتمسح فيك مداهنا ومتملقا
« لقد هده الشوق والحنين »
ويالتعاسة الكلمات المهانة .
شلت يداه : يحمل الخنجر
وغصن الزيتون ... الوريف
فما ابعد الطريق بينهما !
وكثيرون ... بين اقربائك
يعضونك كالكلاب المسعورة
حينما يأخذ العدو بخناقك
يقضون الاعياد فى بيتك
ويكيلون لك الذم .. والنميمة
حثالة المرائين هؤلاء
اشد غلظة من الاعداء.

ما هو الهدف .. واين السبيل
ان لم ير من مجالى الوجود
سوى ذاته المتضخمة ؟
او كان مدللا كالاطفال

يختبىء مثل الفأر المذعور
حين تشتعل فى بيته النار
ثم يهمهم ... ويهذى
حينما تنجلى الكارثة
يرفع صوته القبيح ..
كأنه البطل .. والمنقذ !
هذا المرائى .. كثعبان ارقم
يخطو من خلف ، ومن امام
على فتات الاخرين يعيش
ثم يبيع الجميع للشيطان
واذا اسديت له النصح ،
يلبس مسوح المظلومين
وعقيرته تضج باللعنات
تفوح منها النفايات
الموجة تحمله حيثما سارت
« اذا الريح مالت ، مال حيث تميل »

هذا حال اغنيائنا .. الاشاوس
ومن فى ايديهم اقدارنا
ان خيم السكون ، او هبت العاصفة
يقبضون على الدفة مسعورين
حتى يحموا سعرهم وانانيتهم.
وحينما تصفو الحياة وتقبل الدنيا

يتشبثون بعنقك فهم خلصاؤك
والكثيرون من اهلك وأقربائك
يحتمون بك فى الايام العاصفة .
معسولو الكلمات ... يلهجون فصاحة
ويولون الادبار .. ان انقضت الصواعق
هؤلاء الرعاد يد فى المعمعة
يصوبون سهامهم بالكلمات الجوفاء !

ماذا يريد ا لغبى من لوحات الخيال ،
التى ينسجها بفخر عن الشجاعة ؟
ماذا يريد معتم الروح
حين يتخايل كالطاووس ؟
على المستضعفين والفقراء !
وان حاقت به الهزيمة
وانتصر له صديق فى الايام السود
شمخ بأنفه ، وأعرض عنه .
لا احد سواه فى الوجود
عصامى يرتكز على غيره
اضعف من ان ترتجف امامه
ان كان هائجا ، مهينا ، ارعنا ،
لأن زاده سقط المتاع
خالى الوفاض من الفكر .

الموسرون واعوان الباى
يقرون كل شىء فى الظلام
فى الجحور ... والهمس المخزى
فلا شىء يثير الدهشة ؟
ان ضج الجميع ساخطين
فأصحاب الحقوق المهدرة
لا يجنون من العدالة شيئا
فقد ارتفعت من الارض !

من يسهد لهذا الشعب ؟
الذى ينتظر معجزة ... بلا جدوى
اعوان الباى وبطانته
يسومونه سوء العذاب
ومن يعش فى كنفهم متملقا
يتلقى الفتات من موائدهم !

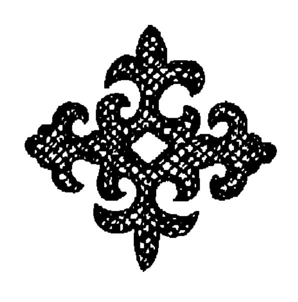
ماذا نجنى من مهازل الانتخابات ؟
يتداول اولو الامر سرا
ويفتتح الرئيس الجلسة
فى الشعب الذى حشدوه كالسائمة
ويلهبون ظهره بالعصا
يختار الخطيب كلماته فى تأنق
هل يمكن ان يجهر احد بصوته

دون ان ترتعد فصائله هلعا ؟
وهذه الزمرة التى تقود
تلوك للناس كلاما اجوفا
كأنها تدافع عن الحق !
ما ابعد الهوة بين الفقر والغنى
مقاليد الامور فى ايديهم
ويمضغون كلمات عن الحق !
منطق .. فوق الفهم والادراك
حتى للمخادعين انفسهم !
يدور « الباى » كالنحلة
يركع « الباى » كالعنقود
امام رؤسائه القادمين
من العواصم المتألقة بالنور .
لقد اشتعلت العيون شراهة
وغام الحقد الاسود
اهدرت قوانين الميراث
وتردينا فى هاوية اللؤم
فى الشباك التى ينسجونها
وهم يمشون فى مناكب الارض
يهرب التجار من ربوعنا
ويتسكع الدخلاء والخاملون
وليس من الشرف ان نرى مواطنينا
يهانون ، ويقهرون فى ترابهم .

شعبنا لا يثق بالسلطة
التى تغرقه فى المظالم
ولا تحميه من مغتصبى القطعان
وعبثا يقسم اولو الامر
فوعودهم خاوية مثل قلوبهم

فى ذاكرة الاجيال
تعيش ايام بيضاء
عن ماض ظلل بالصداقة
الناس ، والربوع ، والوديان
وليس من قلب او روح
لهذا الشعب المسكين
ليس من يسهد له
وهو يضل فى مغاور الحرمان.

عام ١٨٨٧



الشعر سيد الكلمات ، وسلطان الفنون
فمبدع القريض .. يتفجر بالحكمة
يدفيء الروح ويغمرها بالطيبة
والشعر الصافي رائق مستساغ
والسفاسف ، واللغو ، والحشو ، والاطالة
عنوان جهل الشاعر ، وجناحه المهيض
والعديدون لا يستطيعون تذوق الشعر
وهم يترددون فى الفقر والضحالة.

فى البدء كانت الآيات البينات والاحاديث
حتى المفسرون هرعوا الى ابيات الشعر ،
فلماذا تدفقت ينابيع الحكمة من الانبياء
لو لم تكن مفعمة بالايقاع والتناسق .
الفقهاء الذين يلجأون الى الله فى الصلوات
والانبياء الذين يسبرون غور المستقبل
يموسقون كلماتهم .. كل على قدر موهبته
وقد تستطيع ان تنسج عقود الكلمات

وان تتحايل على القروض بالاخيلة
ولكن عبثا تتطلب صوت الشاعر.

من ايها الكازاخيون يستطيع ان ينظم
معان كالذهب .. فى صحائف من الفضة
لان خاطرى يسرح .. عبر الاجيال
فأرى كيف اهدرت الحكم والامثال النبيلة.

كان ادعياء الشعر من الضحالة والجهل
بحيث ينظمون ، ويمدحون من لا يستحق
يريقون دم الوجه بالقيثار والطنبور
لقد انشدوا المديح لعلية القوم
ومدوا ايديهم المرتعشة كالمتسولين
ومرغوا الكلمة فى الوحل .. واهدروا كرامتها
باع المحترفون ارواحهم ، وتملقوا الناس
وتسولوا بالكلمات كالسائمة
واتكأوا على انساب غيرهم زورا
مدعين لقبائلهم المجد والغنى
ورغم تملقهم « للبابات » واصحاب السطوة
فانهم لم يكونوا موسرين ابدا
ولهذا يقول الكازاخيون فى استعلاء
ان الشعر فارغ ، والشعراء ثرثارون

لن اهدر كلماتى كما صنع المغنون المبتذلون
ولن امد يدى للنقود . كالشحاذ الهرم
سأنطلق من المعنى النابع من الحياة
« وانت الحكم والقول الفصل »
فلتطلق على ما تشاء من النعوت
ان مدحت قاطعى الطرق ، ومصاصى الدماء
« ولم انشب قلمى فى اعناقهم »
لن يسرى الغزل الرخيص فى اشعارى
فلترهف اذنك لكل كلمة
الم ترقك طويلا .. هذه السفاسف !

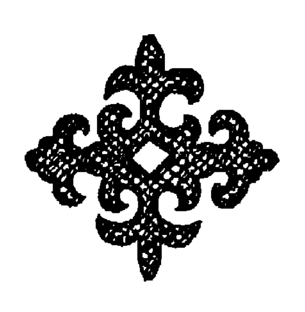
يتلاشى حب الناس للفكر الخلاق
ويتصايحون نحن عبيد اقدارنا
«يحيّط بنا الانانيون كالسور
والانسانية كلمات لا معنى لها ».

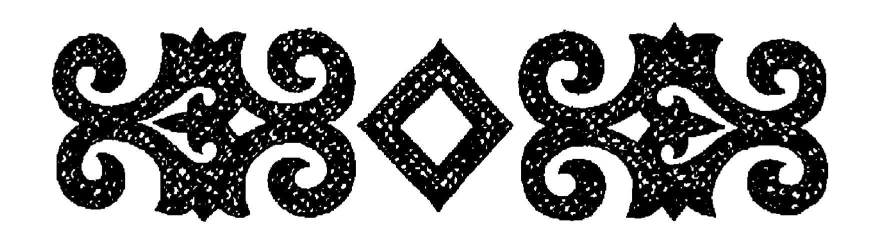
لا تجرحنك كلماتى الحادة كالمدى
وددت ان تتوج الصنوبر والدوالى
ولكن ابيح النهب .. واأسفاه !
فماذا يمنحنا هؤلاء المتشدقون

ترى الا نجد شريفا واحدا ؟
واعجبا .. فان الناس مستكينون
للدجالين ذوى الكلمات المداهنة

هؤلاء الذين يوقدون البغضاء
حتى اصبح الشرف والضمير
كلمات فارغة .. ويهدر دمها.
الخديعة تنتفش كالصوف
ويهرب الناس من المعانى العميقة .

عام ۱۸۸۷





لماذا نرتل اغنيات موجعة ؟
والفجيعة تفجر فينا الدمع
وينغرز الحزن فى لحم القلب
حينما نشيع صديقا للقبر !

الاغانى ربة الاناشيد والمزامير
فى مهرجان الفرح المترقرق
تفجر السعادة كالينبوع
وتزف الاغانى مواكب الرقص.

ان اطل انسان على عالمنا
تنطلق النبرات فى زفة البشرى
واحاديث اجدادنا الطيبين
تعبق بالزخم والتناسق.

الاغنية ــ فجر الحياة الطالع
نطوى بها فى ضلوع الارض
لماذا ترافقنا ، فى المسرات والاحزان
يجدر بنا ان نتمعن فى ذلك !

ليتكم تعون بأس الأغنية
ولا تحطون من قدرها
الاغانى لا تصمت ابدا
ان كانت اذانكم صماء !

موسيقى الكلمات الرائعة
والمعانى الملهمة التكوين
والحديث البليغ المنسجم
مصابيح الروح فى الظلماء.

ينبغى ان نعرف الاصغاء
وألا تطوف علينا سنة من النوم
ان نعى متى ؟ وكيف ؟ واين ؟
تعلو .. وتدمدم ضحكاتنا !

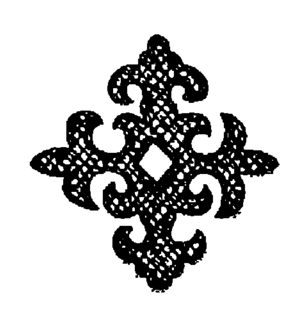
ان ناء كاهلك بأذى الناس
فلتلذ بالاغنية الصادقة
ما قيمة الاوسمة الزائفة ؟
من سماسرة الكلم الرخيص !

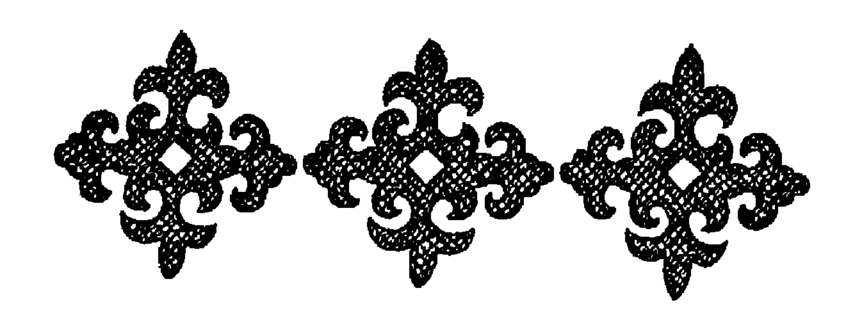
فى انحاء الوطن المترامى
تتهلهل الاشعار متهافتة

اواه ... لو انفجرت الارض
عن عبقرى يغنى احزاننا .

ليت لكلماتى حدة السيف
زمزمة الرعد ، ووهج النار
اقول لهذا الشباب الطالع
الفن ليس هزأ ، او سقط متاع .

عام ١٨٨٨





الخريف

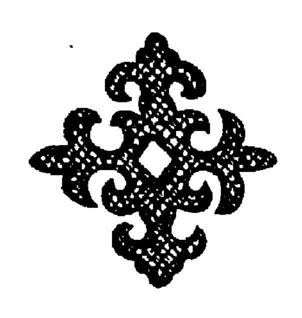
الضباب الخريفي يغطي الارض العريانة
غيوم رطبة وسماء تنذر بالمطر
ربما تلتمس المهرة الدفء حين تقفز
تسرح بعينيها والمدى صامت حولها
جف السوسن والعشب ، وران الصمت المقفر
لكن ضحكات الاطفال لا تزال ترن منتعشة
هياكل الاشجار الرثة تقف كالعجائز
عراها الزمن من الاوراق والخضرة .

يدبغ الناس صوف الاغنام والابقار في البراميل
وترقع النساء خرق المعاطف بجلود الاغنام
العجائز يغزلن وعروقهن كالجذوع .
يتمطى السأم كبومة تمد جناحيها الكالحين
اسراب العصافير تهاجر زرافات الى الجنوب
وتحتها تغذ السير قوافل الابل المتهالكة
وفي مضاربنا تخيم الكآبة ... والصمت المهيب .

خلف الناس وراءهم ... ضجة اللعب البرىء
فالرياح تزأر .. والزمهرير يغطى الكون
ويعذب الصقيع الحقول والشيوخ والاطفال
والكلاب الجائعة تتصيد فئران الحقول
فليس ثمة لحم فى العظام الملقاة .

تذر الريح التراب فوق البرارى السوداء
الخريف حالك السواد .. شائخ الليالى
يجلل خيامنا بالظلام والملل والتعاسة
فالنيران لا تضرم فيه ... وتخرس الاناشيد .

عام ١٨٨٨



الشتاء

دثر الثلج الكون فى معاطف الفرو
زحف الشتاء بلحيته الفضية
يفح من جبهته المجعدة العداء
ويخطو على الدنيا اعمى .. باردا كالرصاص !

غطت حاجبيه ... قبعة الغيم المثقل
ذلك الصهر الحميم الذى يمطرنا بلعناته
انفاسه الجهنمية تفح بالصقيع والعواصف
يمزقنا السعال ... وتحمر خدودنا من البرد.

الشتاء منقبض الاسارير ... مختنق العبرات
مرتعش الاوصال ... يتلفع بأكفان الثلج
مكفهر بالحقد الصامت ... كالجمل الحاقد !
فتهتز جوانب الخيمة ... سن نفث شروره .

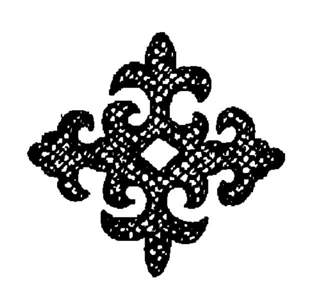
الاطفال يهرعون لبيوتهم ... وهم ظمأى للعب
فالبرد يلدغ الانوف بذراعه الخانقة

لا يحن قلبه لسراويل الرعاة القصيرة
فيعودون حاملين الرعشة والرياح على الظهور .

تسير الخيل الهوينا ... فهى لا تقوى على العودة
يتلوى الذئب وهو يعض اضراسه فى البرية
يحشر الرعاة مواشيهم فى الحظائر
فكل شىء يستباح فى هذا الزمن الاسود !

افتح عينيك ... فالنوم يعنى الموت
لأن صديقنا الذى يعتمر قبعة الغيم
تفح انفاسه الجهنمية بالعواصف
ويخطو على الدنيا اعمى ... باردا كالرصاص .

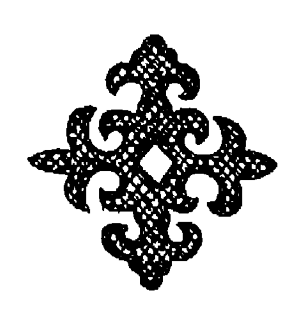
عام ١٨٨٨

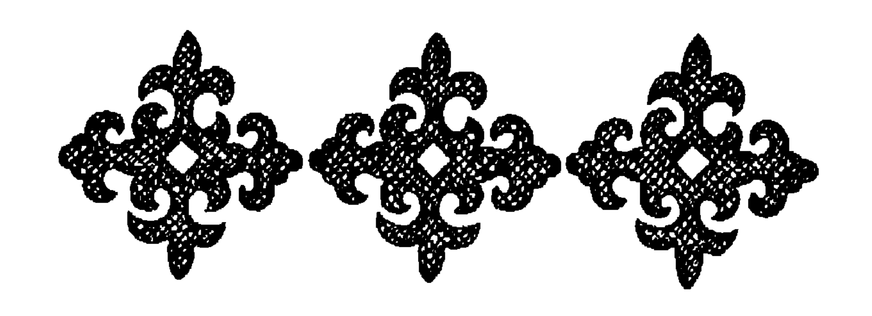


فى ليل ناعس الاهداب
سرى النور فى حواشيه
وارتعشت شعاعات القمر
فى مسارب النهر الصخابة
تتوشح الاشجار بالخضرة
عبر مضارب الحى الاليفة
تتهامس اوراقها وتتناجى
وتغطى الارض بالسندس
متألقة بالانداء الفضية
وتردد الجبال اصداء ،
الكلاب النابحة ... والرعاة ،
تسللت مليكتى ... وروحى
للقائى .. وراء حينا ...
جمعت اطراف شجاعتها
وتورد خداها من الخجل
تكظم تعبها اللاهث

لا تود بعد ان تتحدث
مع القلب الذى يدق !
ثم اقترب رحيق شفتيها
من شفتى الظامئتين .

عام ١٨٨٨



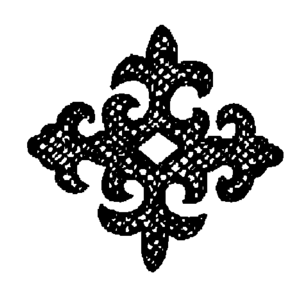


انطفأ وهج الحياة فى القلب
واكتست افكارى بلون الحداد
الخيانة تنصب شراكها ابدا
تحفر ابارها المسممة
وتفتح اشداقها الشرهة !
يحيرنى الزمن ، وتقعسنى المقادير
فلماذا كل هذا العناء يا الهى ؟
صديق يعانق ظلك
صخابا تعج به الدار ..
تسأله العون ذات يوم ،
فيصيبه الصمم ، ويخذلك !
كالجواد حين يلتهم الحشائش
يرخى ذيله ، وعرفه من التخمة .
ايها العاتى .. القابع امام الموقد
بينما يرتعش الاخرون من الجوع
الا تتملق الكبار ... والصغار ؟
حين ترزح تحت غوائل الدهر !

الان تشمخ بأنفك للسماء
وتسرق سرج الفارس
بالحذق والتلون الحربائى !
يداك مختلتان بميزان العدل
وقلبك ابكم مثل الصخر
ان وقع تحت سطوتك انسان !

الدهر لا يستقيم على حال
فلا تغلق وراءك الباب بصلف ،
فقد تطرقه ذات يوم
فى ساعة تهوى .... كالصاعقة
وحينئذ تراه موصدا ... دونك ! .

عام ١٨٨٩



اصبحت رئيسا للناحية
بذلت اموالى فى الرشوة
وبقيت نوقى هزيلة السنام
وجيادى لا اعراف لها
اجل فأنا جدير بالرئاسة
اقول للقوى لبيك ...
ولا اولى وجهى شطر الضعيف
الا فى كسل واسترخاء

يرعد النبأ « ازفت الانتخابات »
يشتعل القلب الثاقب كالنجم
وها انذا اخفى قلقى .. واضطرابى
ابتسم وانا اموت من الخوف
وذات يوم ... منبسط الاسارير
تقف على الباب عربة فارهة
« مأمور المركز » فى الطريق
لتملأ العربات بالهدايا
ليس هناك متسع من الوقت.

قلبى يدق مثل المطرقة
ضل حجاى من التشتت والجهد
وحشدت المشايخ والاعيان
هل ينتظر الزمان الكسالى
اجمعوا ما استطعتم من الخيام
فالمأمور على مشارف الطريق
حين اخاطب الناس .. الم شجاعتى
« ايها الشعب الكريم
لو من الله علينا بكرمه
فلن يخيب رجاؤكم فى »
الست غيورا ... امام الجميع ،
ولكننى ارتجف امام المأمور
واخرج الى الناس منتفخا
اشبعهم سبا ومهانة
واصيح ملء عقيرتى
ابدا لم احن هامتى
واتيه فخرا .. فالمأمور نفسه
يثق فى صدق كلماتى
فليملأ الشك قلوبكم
ان غمزت بعينى لا يهامكم
اننى كنت مسرفا فى الجرأة

بدأ الهرج ... وانطلقت الاصوات
هذا الفخور كان غليظا
وذلك المقدام .. سامنا سوء العذاب
فلماذا يصمت فى المؤتمر ؟
ويخمد الصراع .. فلم يدم طويلا
فقد لويت قرون الذين لا يخضعون
والذين تحدثوا فى الامور الجليلة
وارادوا ان يقرروا كل شئ
لقد ازددت شراسة وحيوانية
ماذا يهمنى من امر الاخرين
ان نهبت القطعان لزرائبى
ويهرع الدائنون من كل جانب
لا عدد للشاكين وذوى الحاجة
يضجون « حياتنا قطعة من الجحيم
لقد جثمت على رقابهم
فمن للضعفاء والمغبونين » ؟

لم ادخر طاقة او قوة
اتعذب من الصباح للمساء
ضاربا فى شعاب الارض
ويتمزق جلبابى من الهرولة
ارخيت شكيمة الجواد
واطلقت له العنان

ولكى انفذ الى قلب المأمور
ارفع عقيرتى بالسباب
وعصاتى الغليظة القاسية
توزع ضرباتها على الناس
حتى هرب الكماة من امامى
ولم يبق لهم من اثر
فتحت ازرار ياقتى .. فالحر خانق
وهبت نسمة خضراء منعشة
حسبى كدحا ، وركضا ، وعناء.

المأمور دؤوب ودقيق الملاحظة
يتبجح دائما بصوت عال وفظ
قهقهة .. مدوية ... كالشلال
وصوت ، جهورى ... واثق » .

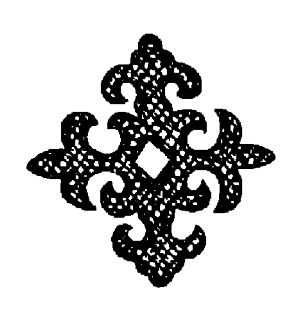
وحينما اتأهب لمقابلته
فالويل .. كل الويل للناس
الشعب ناشز وجموح
وهو يمدد قدميه ويحتسى الشراب
ويضرب فى الحديث خبط عشواء
وانا اتلون امامه كالحرباء
واعلم ان التواضع صفة كريمة
تلازم الحادبين على الخير

فكيف استطيع التحلى بها ؟
سوف اجمع فى قبضتى الشعب
لا اصارع الاقوياء والولاة
فأنا اجبن من فأر ..
اسمم الحياة .. شيئا .. فشيئا
بى ظمأ الى التوافه الجوفاء
اتسلل مثل السحالى
ولا اثير حفيظة انسان
« لتعضدونى ايها الضعفاء
ولا تشغلوا انفسكم بالحقد
لتذهب السلطة الى الجحيم
لماذا تذوب نعالنا من اجلها ؟ »

واسائل نفسى احيانا
ماذا نجنى من الناس ؟
ان كانوا لصوصا ومخادعين !
حياتى فارغة من السعادة
فالعار يطاردنى اينما حللت
والفضيحة تعشعش فى روحى
لن انطلق فى بيداء الحزن
فسوف انال كل الاصوات .
سيجنا القضبان للوطن
فلسنا خلصاءه وناصحيه

تنتقص هيبته كل عام
ويتلاشى بصره فى الظلمات
ونحن نقبض على زمامه
فصراخه لا يلج قلوبنا
صم .. لا تبلغنا الأنباء
فقد جعلنا منه سجنا كبيرا ،
فنحن الرعاة ، والولاة ، والجلادون .

عام ١٨٨٩



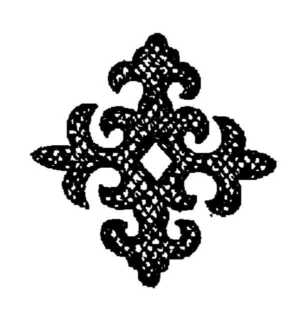
كلمة الالمعي الراشدة
بعيدة عن ادراك الحمقى
لكي ترى شمعة الحقيقة
اوقد نور البصيرة !
ليس خاويا حديث القلب ،
مثل ضجة السوق !
والعقل الذى يلتمع بالحكمة
يقدح زناد الرزانة .
فارغة رأس الغبى
لا تطيق الصمت والاصغاء
دنياه كؤوس مترعة
اواه ... ما افقر الزاد !

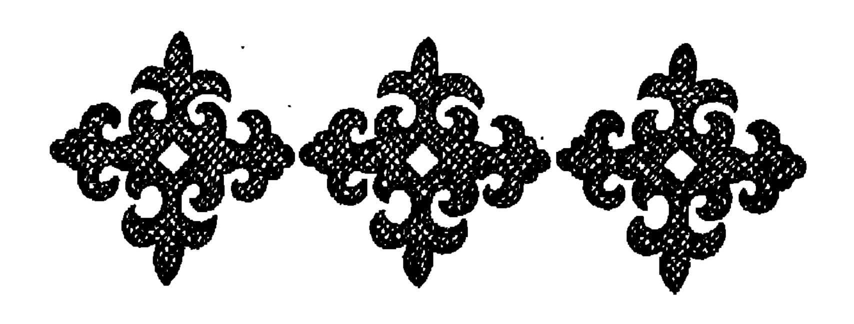
يصدح الشاعر بالغناء
فيحدق فى اللاشئ
النغم المسحور الكلمات
كالطبل الفارغ صك الأذنين .
مرح الاطفال الساذج

والعبث واللهو مبتغاه
هذا قلب بلا أوتار
خال من زخم الفن.

ان ضاع الحق
في سوق الرق
صار المخمل مثل القطن
سحقا للشعر ، وللفن .

عام ١٨٨٩





ايه ايها اللسان ... ذو اللحن والنبرات
انت الذى تنفذ كلماتك الى القلب
تسرى احيانا فى رفق من بعيد
مستقرة فى الاحساس والمشاعر ،
وعاتية حينا كالاعصار المدمدم
مزمجرة مثل البرق الخاطف ..
لتنطلق صادحا .. ومجهشا بالبكاء
ولتفض بالالم الصاعق ، والفرح العظيم .

لا تعذب انغامك بلا جدوى
فالاذان الصماء لا تعى
وهى لا تعرف قدرك .
اقطع من حد السيف
وادق من سم الخياط
متموجا بالموسيقى واللحن
بالوانك المتعددة الزاهية
لمن يعيك وتشجيه اسرارك .

حينما يفتقد الناس الارادة
تبرق انت بنار الفكرة
وتنطلق مزاميرك اللاهبة
تبعث الفزع والسهاد
فى قلوب الخائرين والجبناء
ان اخترت الصمت يارفيقى
مدخرا لغتك البليغة
سيضل القطيع .. بوادى الخواء !

اعلم ان الدم يغلى
ويشتعل الغضب فى الشرايين
حينما تقصف كالسيل العرم :
« لتشحذوا العزائم كالسيوف
فالضعف سبة العصر »
ويعتصر الالم الاحرف
ان خلع برقع الحياء
« وظلوا فى سباتهم يعمهون ».

حدثنا عن المكائد والاحابيل
عن المنسحقين والجوف ،
والثعابين الملساء
التى ترقص امام مروضيها
وتخفى انيابها الصفراء السم .

وليكن حديثك .. كالسكين فى اللحم
لعل الناس يفركون الاعين
لعل بصيصا .. يضىء الدرب !

.

هل قلت .. ايها الرفيق المبين
ان السؤال يذل العفيف
والتشاؤم يغل الشجعان
والمعرفة .. تفل الحديد ؟
المحبة تفجر الطاقة المبدعة
لكنهم اشاحوا عن قوافيك
فلتدو . كالحمم .. كالبراكين
حتى توقظ المقابر الموحشة .

ان بخست نفسك حقها
وما انتفضت .. تحمى عزتك
تتوج بالشرف .. اياتك
استحالت كلماتك هشيما
وحصدت من الفن القتاد
فلا تنوء بعباء الامانة
فالذين استمرؤوا البهتان
سيبؤون بسوء المصير .

واعلم .. حين تسعى الوشاية
وترفع الاباطيل اعنتها

وتثقل التخمة الجهلاء ،
ومن يتنكبون الطريق السوى
يشيع الحزن فى انغامك
ولكنك تنهض من كبوتك
وتنفض عن اساك اليأس
فمرماك .. لا يزال بعيدا .

المرض لا يدب فى البدن
ولكنه يتغلغل فى الروح ،
فتا كا يمزق الاحشاء
جاثما – كالصخرة – على الصدر
لتنتحب – يارفيقى – فى صمت
فالحياة متخمة بالغباء
ومن اين لك زخم الفن ؟
والالهام ، والمثل الرائعة .

قد لا تملك حيلة من امرك
فالسوق الذى يطن كالنحل
ويتسكع فيه الكازاخ
لا حول لك فيه ولا طول .
امتقع اللون ، وخرس الصوت :
فالقنديل بلا زيت
والمركب بلا شراع
والجدار يسد المدى ! !

شبب عمرى الذى ولى
كان مفعما بالقوة
نهدت ايامه وخارت
وضاعت فى البيداء سدى
فى صحراء المهانة والاضطراب
طارت الفتوة هباء ..
لا املك حيلة من امرى
فالسوق كان مرهقا ورتيبا .

لتفض ايها الرفيق الاسيان
وانفض عنك الرعب القاتل
فلن تقع حتى اخمص القدمين
فى عنكبوت البهتان والزور
لن يعفر التراب جبهتك
او يقصم المال والجاه ظهرك .
الصمت ان جنح العواء
وفتحت القبور اضلعها .

اه لو ملكت زمام الامر
وملء .. يدى ارادتى
ولكننى فرد محدود
لا احيط بكل شئ
تفضى لى الحياة بسرها

وليس لى سوى العذاب
فانتطلقى ايتها المزامير
لعل بصيصا من النور يبرق !

ما ارخص النصائح .. والكلم المعاد
مثلما يضج الشيوخ فى وجه صبى ،
يعدو .. وراء كلب شارد
« لترعو .. ايها الغلام الشقى»
رويدكم ايها اللائمون .. الملتحون
هل تستحون انتم ياذوى النهى
ان ماجت حولكم الصغائر
وخرستم .. ولم تفوهوا بكلمة !

الراحل يفوته المركب
وممتطى الجواد يخب به
وليس معى فى مسيرتى احد .
لتحترق يارفيقى دموعا
دعها تهمى كالسحب
كالغيث الملتاع الغاضب
فالداء عصى .. والزاد قليل
والسوق صراخ ، واباطيل .

لن تشم ابخرة الملق
فلست ضليعا فى القانون !

خطيبا دعيا ، مصقعا ..
او عليما ببواطن الامور ،
وصاحب صيت ذائع
لن يطفح امامك البشر
فلست فى العير او النفير
واعين الحاسدين لا تصيبك ».

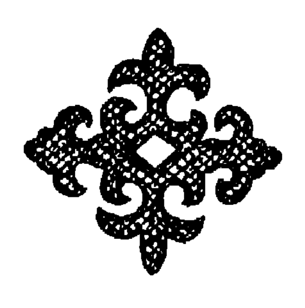
العاطلون ، والمتسكعون
يشبعون ، ويتخمون
فلتزن حبات عرقك
تفض بالعافية والفرح.
غبار النوم على الكلمات ..
وغباء الحكم البالية
وانت غريب فى ديارك
لانك اللسان الحق .

لك عينان ياصاحبى
نافذتان ، وبراقتان
ترى الشرف الذى مرغ
فى وحل المستنقع الراكد .
تبصر الكذب المنمق
والدهاء المتشح بالحكمة
ترى خسة الزيف البليغ
عينان ثاقبتان يارفيقى !

هل يغمض جفنك قليلا
فالناس يلغطون بالفضول
بنفايات الافكار الباهتة ؟
هل تضع الاصابع فى الاذنين ؟
حتى لا تسمع النميمة الهائمة !
هل تغلق فمك المرير
فالعلقم .. طعم الكلمة
والسكوت يقال — من الذهب ؟

معارفى لا يحصرهم العد
وقبيلتى كبيرة ومنجبة
وتمزقنى الوحدة القاسية
وهاانذا وحيد كالمقبرة
كالساحر الغريب الضائع
ان اخترت الصمت الذهبى
فمن يزمجر كالبرق الخاطف ؟
بالالم الصاعق .. والفرح العظيم !

عام ١٨٨٩



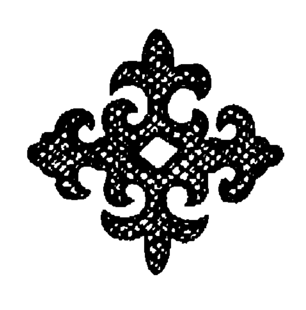
لو لم يتفجر شاعر بالحكمة
ويهدى الناس سواء السبيل
ماذا تصنع الغوغاء والرعاع ؟
فى هذه المتاهة الحالكة !
هل تقام الصلاة بلا امام ؟
الراية تنير للفيلق المعارك !
لو كنت انسانا ثاقب الفكر
اعر كلماتى سمعك وبصرك !
الناس المتآلفون ، المتساندون
مثل البحيرة العميقة اللازوردية
التى تترقرق فيها المياه
مثل المراعى المخضوضرة الرائعة
التى تضج بالحياة ... والكلأ الغنى
تكتنز القطعان فيها بالشحم
والشعب الذى لا يأتلف على الخير
وتعوزه الوحدة ... والصداقة
كمستنقع حياه المرة
لا ترعى حولها قطعان

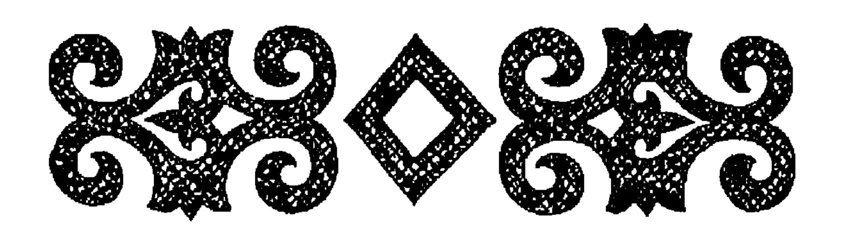
ولا تحوم اسراب الطير
مثل الصحارى وحشة ونضوبا .

يعد الطيبون على الاصابع
وما اكثر الحمقى ... والتافهين
انك لا تحصى من ابغضت ...
من الاصفار الهزيلة ... الجوفاء
وكيف تجد الدر فى الحصى ؟
ان عمت عينيك ابخرة الجهل ؟

لتدخروا قواكم ... يا حصيفى الفكر
ولتصونوا السعادة والسلم
« لا تخاصموا وتنابذوا بالالقاب »
« بئس الاثم الفسوق بعد الايمان ... »
ان ضاعت الحقيقة فى ضجيج المهاترة
تلاشت اصداؤها كالدخان فى الهواء .

عام ١٨٨٩





لا احلق بأشعارى فى الاوهام
ولا اصوغها للهزء والسخرية
تولد فى محراب الالهام ،
فأزجيها للقلوب المرهفة
فلتع قوافى .. بصائر الشباب
ولتتغلغل معانيها فى الاعماق !

هلم الى اشعارى ... ايها الصديق
لتفتح لك الافاق المغلقة
ربما لا تنفذ اليك ... لأول مرة.
غريبة عليك هذه الاناشيد
وقد ينأى الناس عنها
ويطلبون غيرها من القوافى !

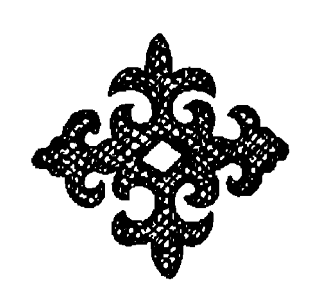
اناشدكم الاصغاء لكلماتى
فأنا لا ابدع انغامى .. مادحا
صاحب الذقن الذهبية

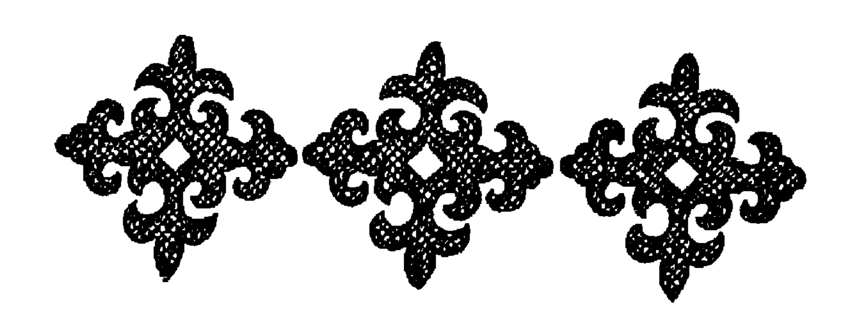
ولا احرض الشباب على الموت
هربا من صوت الضمير
فأشعارى هى العفة .. والتمرد الحصيف .

تترعرع الخديعة بين جامعى الضرائب
والكسالى ، والعاطلين ، والثرثارين
يعرفهم الجميع بلا عقل او متاع
انهم لا يختفون عن الأعين
لتخرسى الى الأبد ايتها الاشعار
ان كان هؤلاء يسرهم انشادك !

ياشقيق روحى المغنى
ان حملت القيثار فى يديك
فلا تعزف الانغام الجوف
التى تنخر فى موهبتك
ولتقل للناس الطيبين
كلمات تقطر اصالة ونبلا !

عام ١٨٨٩





العقل بارد نفاذ
والقلب جموح الخطى
ينبغى بالفكر الصبور
ان تلجم عواطفك الجياشة .

تنصهر العاطفة والفكر
لدى اصحاب البأس والعزم
الذين يشقون طريقهم ،
فى وحدة الباقة وتجانسها .

لا يكبون بك الجواد
فاللهفة بلا ارادة
مثل العتمة فى النهار ...
حكمة تلقنها لنا الحياة !

عام ١٨٨٩

الحب نفحة الهية
والجسد شبق الارض
اهيم بك يافاتنتى
وربما هلكت ... وتلاشيت .

يغلف الرماد روحى
نأيت عنى ... فسلبت حجاى
الناس يحبون ... ويكرهون
ولكنك ملكت زمام القلب :

تطير امالى هباء
ويدب الجليد فى المشاعر
ثم تعود نفحة الحب
فتشعل النار من جديد .

عام ١٨٨٩

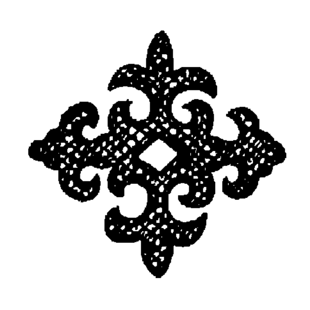
تبعثرت روحى فى كل واد
فأنا صريع الفراق المر
لقد نسيتنى
وفاتنى حظى
يا إلهى ... كم يحيق بى من الضعف :

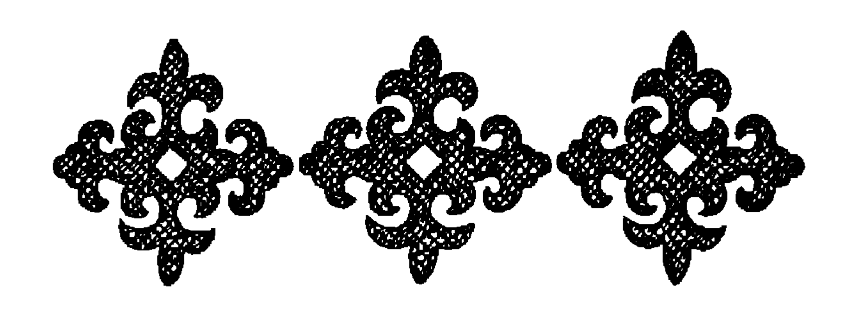
مشى الاصفرار فى احلامى
وامتقعت قسماتى من الالم
جف حلقى ..
واحدودب ظهرى
هل اشم انفاس الحياة ؟
وازيح الصخر عن القلب المعنى ؟

القيت بى فى مهاوى العدم
فلا يطرق النوم اهدابى
لقد نسيتنى
وفاتنى حظى
اتقلب فى اللهيب والضرام
وعظامى تتفتت ، وتنسحق !

لو استطعت اينها الصلوات
ان تطيرى .. الى اعتابها
لضوأت نفسى
وخففت من قدرى
وعادت الى اوصالى الروح
وجثوت فى انتظار سعادتى .

عام ١٨٨٩





اواه ما اتعس المصير
تذهبين بكبرياء
منسلة كاللص
وتنكثين عهودك
متمرغة فى الخداع
وتنسين الفك .

تفتشين فى قلوب الاخرين
عن حب ضائع
وتسود الدنيا فى ناظريك
مجللة بالخزى .
سلكت دربا لا تنبت فيه
سوى الرغبات الجامحة !

لتنظرى ... روحى تئز فى اللهب
اصرخ وتجوب اناتى الأنحاء
وتهدر صاخبة ملعونة
موجات النيران والغضب

ذليل مثل الجرو الضائع
وتنسل الحياة من كفى ...
من ينبى بما تخبئه الأيام ؟
وساعتى تقبل كالصاعقة ،
وكالقدر لا مرد لها !
ولكننى ما زلت احيا
وفى اوصالى المنهكة
تسرى انفاس الحياة .

لا تعبد الرياحين طريق الحب .
ان مدت لك اسباب البقاء
ربما ظفرت بفيض منه
وان لم تطوقك هذه السعادة
ماذا فى وسعك ان تصنعه ؟
تنفرط حياتك فى الحيرة والأحلام !

قاتلة هذه المعاناة
لقد هدت قواى ،
ولم ابلغ مرادى
وفى عينى التائهتين
التى تضطربان وتجفلان
يحوم الموت الغاشم .

لتهنئى بالحياة ، ولو كنت نائية .
ان صدقت خفقة القلب
لن يغير رغبته مئة مرة
سيمضى شامخا الى الامام
يدوس على الجراح النازفة
وسيموت من اجل كلمة واحدة .

انك لذكية ... فهل تستطيعين
ان تزرعى السلام فى حياتى
لا تقولى ... ان هذا قدرنا
لو عدت الى الولهان التائه
فليس ثمة احد فى الدنيا
يستطيع ان يلومك !

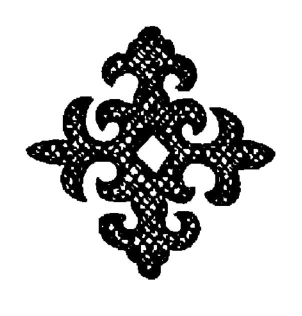
الدنيا معتمة امامى
تتهافت كلمات العتاب
لم افه بها ابدا !
فليس فى استطاعتى ان انطق
لأن روحى عارية من الحياة
اتمرغ فى الرماد ... والهباء !

وداعا هل تسمعين انينى
لقد غضضت لحظك الفتاك

عن النار التى تشتعل فى الدم ،
عن السمع الذى يصيخ ... لهتافك
عاقبنى الله ابد الدهر
واعلم ان اميرتى لن تعود !

لقد صوبت سهمك الى السويداء
حذار ... فكل شئ مكتوب على الجبين
ولن يغفر لك احد ،
خطوتك الظالمة ....
على ميزان العدالة
الى ان يدركك الأجل .

عام ١٨٨٩



سلاما يا ذات الحواجب الدقيقة
فهذه دمعاتى ... تعتم العالم
لم يعرف الكون كوكبا مثلك
لم يخطر على الارض من قبل ... ملاك !
سأحدق فى عينيك اللتين بلا قرار
وابحر فيهما بشراعى التائه !

لقد صاغك الله ياحبيبتى
لكى الهج بمدحك ، وثنائك
ليس لى غير الوله بك
حتى لو صرت كهلا ... ومدقعا
ها انت توسدت اضلعى
وافعمت عينى ... بالأحلام ؟

لا يستطيع الحاقدون والمرجفون
ان يطفئوا فى القلب الملتاع
شعاعك الدافئ ، وطيفك المقيم

لا تستطيع النساء المتربصات
والحقد الذى يأكل الصدور
ان تخمد جمرة الحرقة والاشواق .

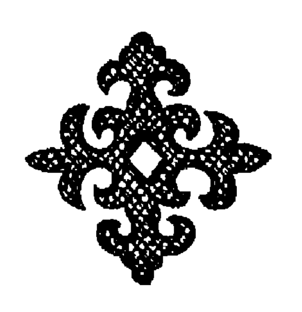
فمك الأنيق ... يعبق كالورد
وتتهدل خصيلاتك السكرى
وعلى الصدر تفاح النهدين
عيناى الغائرتان جفتا من الدموع
حدقى ... هل ترين غير الشوق والسهاد ؟
فليس لك مثيل فى هذا العالم الصخاب !

تعلمين يا اميرتى انك فريدة
رهيفة ومن المحال التهامك
حسبى ان المس خدك الحرير
فيرتعد جسدى ... وينتفض
وانت تشعلين فيه النار
حينما تكونين بجوارى !

وحيد ... وانت لم تقبلى بعد
تضيق بنا خيام الحى
ومع ذلك فسوف انقض
واحملك على جناحى حيث كنت
لتستقرى فى القلب الولهان
وامتلكى حياتى ... ساعة بعد ساعة .

اقتربى يا طائرى المدلل
لتفى بوعدك مرة فى العمر
انت لا تعرفين الحقد والشح
فخورة ... وجليلة القدر .
سأحدق فى عينيك اللتين بلا قرار
وابحر فيهما ... بشراعى التائه .

عام ١٨٨٩



تدعونى الى رحابك يا حبيبى
مصيرى المجهول ملك يديك
فلترسم لوحة مستقبلى
فحياتى ... طوع بنانك !

فى لظى الحب العميق
فى النار التى تتأجج فيك
اصير عبد مشيئتك
واحترق شرارا يتطاير .

ذكية ورشيقة كلماتك
تحملنى على جناح السعادة
فأشقشق مثل العصفور
سكران بألق الفجر .

طر بى على صهوة جوادك
على متن السحب والرياح
واعطنى الكأس مترعة
قبل ان تزحف التعاسة .

يغرقنى ينبوع الحب
ولسانى يتعثر بالرهبة
لن يستهويك سواى
فأنت جليل القدر !

هات كأس السم اكرعها
حتى تنطفىء النار المنداحة .
المنية خير من قلب فارغ
يرتمى فى سواعد الاخرين .

آه ... ايها الصقر الجسور
لكم تنقض على فرائسك
ترتمى الفتيات على اعتابك
وتعرج على دارنا المتواضعة !

انت الفى وقدرى الوحيد
فلتأخذنى بين جناحيك العارمين
ولتحلق بى فى السموات
فى عالم منور مسحور .

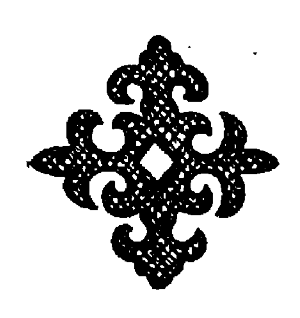
اتثنى مثل قصب الشواطىء
واسيل مثل حرير الحقول
بين يديك العملاقتين
وفى قلبى اشواق القديسين .

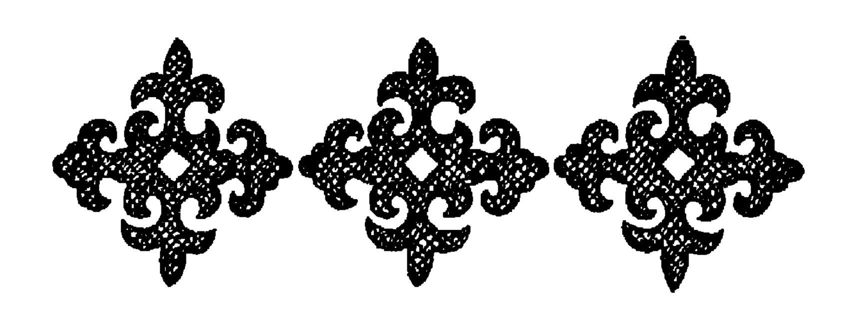
امعنت الفكر في الاجابة
بكلمات بسيطة .. وصادقة
فلتعيها ايها الباسل
ولتشعر بدفء الفؤاد.

ملحمة حبنا انشودة تطير
في ضمير الشباب والكهول
تطوف اغنياتها الآفاق
تحمل رعشة الفتوة ؛

لتدو في ضمير العاشقين
في الاجيال الصاحية من بعدنا ،
على كلماتها الذهبية
التي لن ينطفئ بريقها .

عام ١٨٨٩





كفها البضة ... تمسك بضفيرتها
وهى تمشى .. متهادية كالموجة
زجج الله حاجبيها .. بريشته القادرة
هل رأيتم يا احبتى مثل هذا الملاك ؟

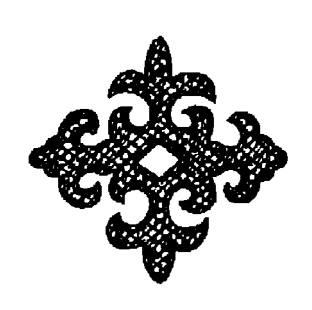
صفاء المرآة ... عيناها الزمردتان ،
عيناها الأليفتان ، العطوفتان
تنثران ذوب حنان وفضة
هل رأيتم يا احبتى مثل هذا الملاك ؟

التفاحة التى يسكر عبقها
ويتوه فى بهائها الخيال
يزدان بها صدر اميرتى
هل رأيتم مثل هذا الملاك ؟

لو لمستها يداى الحانيتان
او شممت انفاسها العطرية

انهمرت السعادة فى احنائى
هل رأيتم مثل هذا الملاك ؟

عام ١٨٨٩



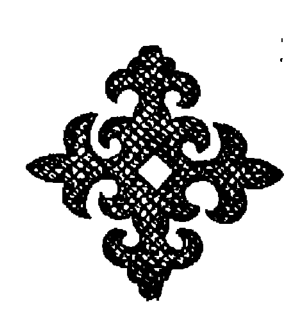
قالت لى حنكة التجربة
الجمال لا يطرق الكهولة
لماذا لا توقد فى اضلعى النار ؟
اواه .. قد اندثر مهرجان الفتوة .

اعلم ما تنطوى عليه النفوس
فلست مسرفا فى الطيبة
والقلب الذى لا يتسلح بالقوة
هيهات ان يظفر بالسعادة .
من لم يذق هناءات الحب
لا تهزه معانيه وتباريحه
هل ثمة من يستعذب الحياة
ان رزحت النفس تحت ثقل الألم ؟
ان غفوت وقطعانك ترعى
هل ترى .. صديقك يسوقها لك ؟
حتى لو كان نفيسا حقا
وشاركك فى السراء والضراء .

انت سيد مصيرك وقدرك
فاقتحم الحياة بالاقدام
وترفع شامخا وابيا
عن الملق والمداهنة .

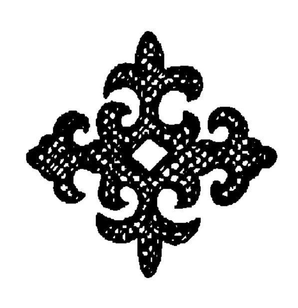
لتصك كليماتى آذان
من يعيشون بلا هدف
الدنيا لا تؤخذ الا غلابا
وغير ذلك .. قبض الريح .

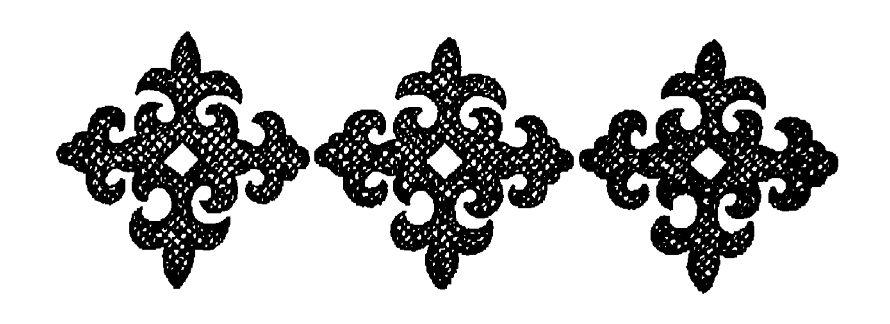
عام ١٨٨٩



يعانق وجه الأسى
ويرنو الى افقه يائسا
ويذكر كل العهود
وقد طويت في اللحود
وان دارت الشمس في ليله
ترامت لهيبا على ظله
وقالوا بأن القمر
يضيء النهار ، ويجلو الصور .
فهل تعرفين جمود الجدار
بوجه الرياح ، وذل الغبار ؟ !

عام ١٨٨٩





تزهق انفاسی الأحزان
انوء بعبء الذكريات
وتوقد النار فی حشای
كیف اطفیء لهب الغضب ؟
حین لا استطیع ان ابوح لاحد
بما یثقل روحی من الاعیاء .

احس بالعار
ویقتلنی الحیاء
اتلعثم كالطفل
ان قابلت احدا
اطرق برأسی ..
واطلق ساقی للریح .

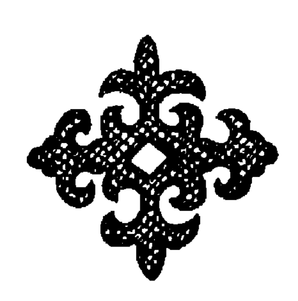
روحی معذبة ومتعبة
لا اذوق طعم النوم
والطعام مر فی حلقی
قوای خائرة ، ومستكینة
ولیس بوسعی ان اهدأ

فؤادى يتلظى فى اللهب
ياالهى .. من اين لى ،
ان اطفىء هذا الظمأ
فلتهدنى سواء السبيل
ولتسبغ على السكينة .

ترتعش الاوراق
فى مهب الريح
وتئن الحور بأصوات ملتاعة
وانا سكران من النكبات
وقد خضل الدمع عيونى
وانهمر كالسيل !

كنت معتدا وفخورا
لا اعرف درب المصائب
يجثم الاعياء على صدرى
يندلع مثل النار ... احيانا
ويقشعر هذا البدن .. كأنه الجليد .

عام ١٨٩٠



اقبلت ساعاتي الاخيرة
الزمن الذى يقال فيه
« احدى قدميك فى القبر »
لقد منحنى القدر
بحورا وقواف غزيرة
بليغة وشائقة المعنى
لكن القدر عاقبنى
بأناس لا يفقهون
وحتى اعوامنا هذه
فان بحثى وسياحاتى
فى الفكر .. بلا جدوى
لم اعثر على انسان واحد
يحمل رسالة الشعر بعدى .

على كتفى ثقل الدهور
التى عشتها مع الحمقى
وها انذا على حافة العمر

وعبثا اطير الان
على صهوة جواد اللهفة
فقد حان زمن السكينة
حتى لا اذعن للمحن
ولا تتعثر روحى .. او تكبو !

لتنتفضى ايتها الروح .. ولتستيقظى
لا تقبعى خاملة فى عش الراحة
مثل الطائر المهيض الجناح
لا تستكينى وحلقى فى الافاق
وانقضى كالصقر فى اعالى السماء .
ما اكثف الاحزان ، وما اغزر المصائب
لكم وددت ان افيض بها لانسان ،
فلتنسابى ايتها الاغانى مرفرفة
معبرة عن المى المر الجسيم .

السنة النيران تندلع من حولى
وانا اريد ان اصوغ هذه الالام
ولكن الجهل يخيم كالضباب
فكيف تنفذ كلماتى كالشعاع ؟
الى افئدة الذين لا يعلمون ،
والذين لا يجنحون للسلم
واشهرها فى وجه المتعجرفين ،

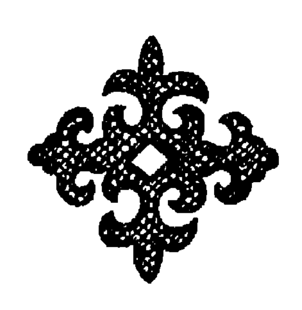
والذين لا يخشون بشاعة الجريمة
احمل رأسى على كفى فى المستنقع
واغرس قدماى فى الارض
لا ابيع وطنى .. او اغادره .

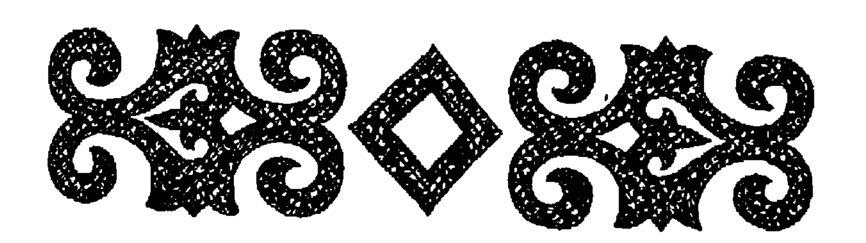
اقعد متلفعا بالاسى
لا استطيع ان الجم الجهلاء
فقد كتب الشقاء على جبينى
وقطعت العمر مع اصحاب الضمائر الخربة
انتحب فى صمت الوحدة
هذا هو مصيرى وطالعى
لقد خلقت لاكون انسانا
ولكن شعبى لم يشأ ذلك
فالناس لاهون فى الطعام والشراب
يمشون فى الارض بالاراجيف
ولهذا فى قعر دارى
تسحقنى الكآبة والعزلة
فكيف احمل هذا العبء ؟
وانصب سورا بينى وبين الخليقة !

لو خانتك امرأتك .. يا اخى

واخذت تمعن فى درب الخيانة
وانت يعلم اسرارها ،
فكيف يكون وقع ذلك على النفس
هكذا انا ممزق .. وحزنى بلا حدود .

عام ١٨٩٠





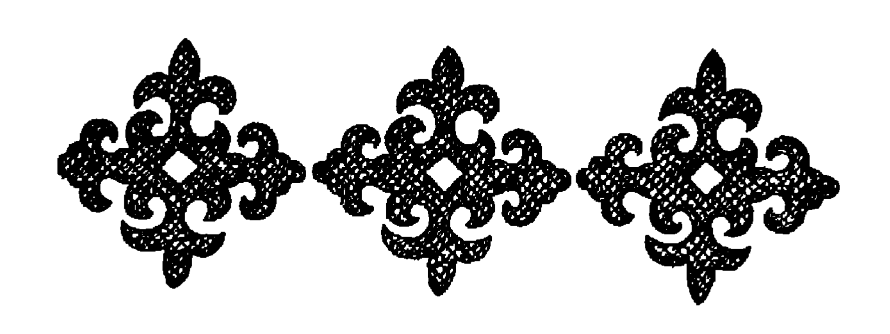
كل شيء فى الدنيا ثقيل تعافه النفس
ولكن الاغانى ترف ابدا بالفرحة
ان صدحت بالغناء الملهم الشجى
بددت غيوم الحزن ، وصرت خفيفا كالطائر
فلتنطلق ايها الصوت بمزامير الغناء
ولتنهل من افكارك التى تحوم كخلية نحل
ولتنهمر كالنهر ايها الدمع الهتون
حتى تفيض الروح .. وتنطلق فى الافاق
هيهات ان يلتقى دربى مع الثرثارين
والجهلاء الذين يلوكون الكلمات
اما الذين يملكون قوة الروح
فتهز اوتارهم اغنياتى .
سواء لدى استجاب الحمقى ام هزئوا
فلينتفض لشعرى وجدان انسان وحيد
ولتمتحن هذه الكلمات المحلقة
الألم الحى .. وتستقر فى الاعماق

الفجيعة مثل الحطب فى النار
تثير زوابع الدخان واللهب
وسوف اودع هذا العالم
وتبقى اشعارى للذين اوتوا الحكمة
ليصغ المعذبون ، ومن حرموا السعادة
الى الغناء المضرج بدم الكلمات
سوف تنزل بردا وسلاما ونورا
على من يحتضن النغم العميق .

ليس لى غاية ولا طاقة
فى ان تتزلف كلماتى من لا يستحق
لتضرب فى بيداء الوحدة والغربة
حتى تجد اذنا صاغية ، وفؤاد حكيما .

كثيرون انتم ايها الكازاخيون
– وقليل منكم من يفقه الشعر –
خير لكم ان تغامروا فى الصحارى
وراء الذئاب ، من استيعاب ما فوق طاقتكم
لا تريدون ان تفتحوا نوافذ القلب
فقد الفتم الحان الطبول الجوف
والتى تنزلق ملساء على سطح عقولكم
فهل اسوق انغامى للفراغ الموحش ؟

عام ١٨٩٠



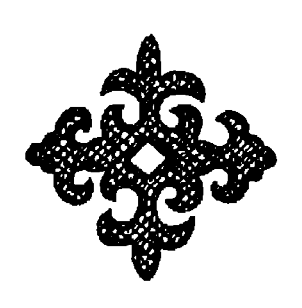
تتضرع روحى للحب
للشوق العارم والسهد
لكؤوس السم الظمئانة
وعيون العشاق الولهانة.

فلتلق بقلبى فى النار
يتضرم فى القاع الموار
يعثر احلامى فى الريح
جدف .. فالليل سهاد وتباريح !

قطع العمر بلا آهات
انسان يغرق فى الشهوات
لم يعرف معنى الهجر
وعذاب الصد المر !

العتمة حالكة ... والعمر قصير
اوقد شمعة حب واحدة فى الديجور
ان لم تمتلك الخرقة فى البرد
فالحب دثارك ، ابحارك للمجد !

عام ١٨٩٠



الربيع

يتهادى الربيع ... فتحف اشجار الحور
يثرثر النسيم ... فى ذوائب الحقول
وتدغدغ شمس البرارى .. كل الاحياء .
حينما يلثم الشعاع الارض ...
تتعالى اغانى الشباب ...
وتنهض الاجداث للحياة .

انعقد السمر الربيعى فى مضارب الحى
حتى العجائز ... قد هجروا الخيام
لبوا دعاء الطير .. والنجوم ... والنسيم
انين الناى يسيل غناء فى الليل
منسلا كالشعاع الدافىء ، كالحب
فيتمايل الراقصون ايقاعا ، والتياعا

تدعو الناقة بعيرها فى صخب
الشياه تثغو ، والطيور تزقزق
تهتز الاغصان الفضية

ويسبح البجع في الاعالي
ويسرح النحل على الاعشاب
ويرتعش قصب الشواطئ .

ترتدي الحسناوات اغلى مالديهن
يتساءلن في صياحهن المدلل
عن احلام الشباب العارمة
يفرش الحب المدى بالزمرد
وتشدو جوقة البلابل في السهول
تناديها القبرات من قمم الجبال .

تبذر كفا الربيع الخضراوان الخير
قوافل الجمال تحمل بضائع التجار
وينتصب مهرجان الحرث في الحقول
وتمنحنا الارض حصادها الطيب
مرايا المياه الراقصة في الضوء ،
تتراقص فيها اعواد الذرة الممشوقة .

الربيع هبة السماء للكون
وزينة الباري لا تحدها الانظار
رضعت الارض من الشعاع الطيب
فتفجرت خصوبة ، وعافية ، وثمارا
اغدق علينا الربيع من كرمه ،
فترعرعت البادية قطعانا والبانا ،

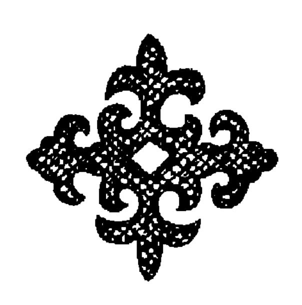
العجائز الذين يرتدون تيجان الثلج
يدفئ مرح الاطفال قاوبهم الهرمة
وتنداح في زرقة السماء اغاني الطيور
وتصدح اسرابها بالشقشقة والهديل
يرتقى البدر ، وتتألق حبات النجوم
ويشع الضوء حتى مطلع الفجر
غزيرا وصافيا كالبلور ! ..

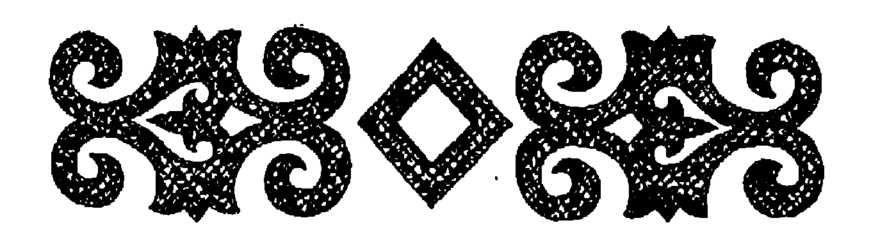
تتوسل الارض للنجوم ان تغيب
حتى يد فئ ضلوعها شعاع الشمس
لقد عذب الشعاع ... الشوق والانتظار
وها هي خدود الصباح تفرش السهول
مرحبا ايها القادم المتوج باللالىء
النسغ يدب في الجذور والأغصان !

يطير النسيم في الفضاء الرحب
منسلا خلال قطعان السحب
يحكى للنجوم لهفة « العروس » وبهجتها
عذبها السهاد طوال ليالى الشتاء
كانت متشحة بالثلج تنتظر عريسها .
وها هي تشتعل شبابا وربابا .

ان حدقت فى الشمس .. عشيت عيناك
انت الذى تعشق القها العظيم
فلتمعن النظر فى الموكب الساحر
ينحدر متشحا بغلالات الذهب
وبقع الدماء تخضب السحب المهاجرة
وتفرش الرهبة اودية السكون .

عام ۱۸۹۰

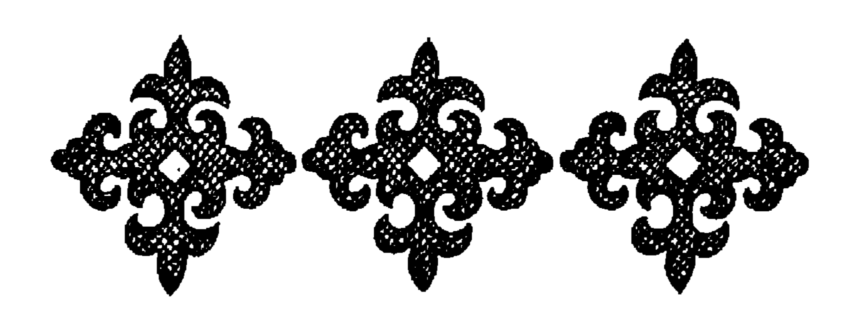




هذا الشباب العابث
يبيع مثله بالدراهم
الفراغ والخواء طابعه
والتفاهات والخصومة مترعه
نضبت مواهبه ، وتجاربه .
يقضى العمر خامل الفكر
قانطا ، ومتسكعا .
اتخم شحما ولحما
مثل الابقار البلهاء
تحك جلودها فى الخيام .

الشباب نضارة العمر
وذخر البلاد وعمادها
ترن ضحكاتهم بلا معنى
وسافلة احاديثهم ابدا
يطيرون مع شهوات الجسد
ما اشنع عالم الخنازير !

عام ١٨٩١



من اين له هذا الصلف ؟
وهو لا يفكر ولا يرى ،
اكثر من ارنبة انفه !
كالضفدع فى المستنقع .

قالوا له جهلت
اجاب « ارادة الله » !
السنا جميعا عبيده ...
والأنام فى ذلك سواء .

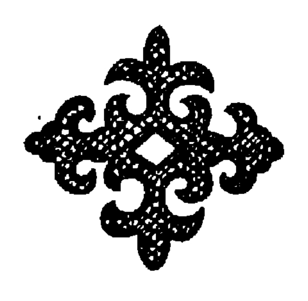
يتوشح « بالقفطان » الفضفاض
الشيخ المتحذلق ، الداعية !
فى صدغيه ذوائب الشحم
ويعبث بالمسبحة فى يده .

لحية الجاهل المهيبة
يعشعش فيها الظلام
نبتت على جفان الأغنياء ،
والثريد ، ورنات الدراهم

ان اوتى بصيرة الروح ،
حقا .. فهل رأى الحقيقة .. ،
تدفئ بشعاعاتها العقل ؟
وامتشق الحسام من اجلها !

همهماته الكاذبة غشاوة
وتمتماته لا تجلب الخير
هذا المحتال الصلف
مثل الضفدع فى المستنقع !

عام ١٨٩١



الدماء الشابة تتدفق لهبا
وتتفجر حيوية وقوة
وعلى جواد الرغبة والامانى
تنطلق كالسهم على حافة الهاوية .

فى شبابنا لا يطول امد الحزن
وليس مرا طعم المصائب
وكل الامال والاحلام
تبدو ملك ايدينا .

لم تتوسل فى شبابك لاحد
كنت قويا ، وملهما
لم تخدع نفسك او تنافقها
ولم تعرف طعم اليأس والحرمان .

ما حرقت البخور للفارغين
بل كيلت الصاع ... صاعين
ولم يغرق وجهك فى الوحل
كنت رجلا .. لا امرأة معولة .

ولكن الشباب تتصوح ازهاره
ومشاعله لا تتوقد ابد الدهر
فلتأخذ لنفسك بأسباب الحياة
قبل ان يجرفنا موجها العاتى .

ادعوك الا تكون غرا ، بسيط النفس
وليشرق وجهك امام ابناء جيلك
فالحية تخفى ذنبها السام
بحيث لا تبصره عيناك !

هل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟
اذن .. لتكن عادلا فى ثأرك !
فان جاوزت حدك .. غرقت فى الندم
والصبر باب للحق والعدالة .

لتُعِنْ الانسان الشريف
فالثقة تتلاءم مع الصداقة
لن يسوق لك الخسيس المدح
ولا تتنظره ايضا من هزيلى العقل .

الوسط الذى يسوده الخداع
يراه الفتيان .. يستانا خالدا
فالشباب لا يعرف الشك
فرؤاه مستبشرة ومتفائلة .

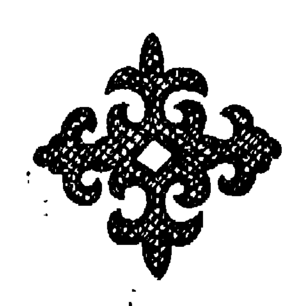
لا يمعن الشباب فكره فى شئ
فالامانى فى متناول يده
وان ضج الناس من حوله
تاه خيلاء ، وغمرته السعادة .

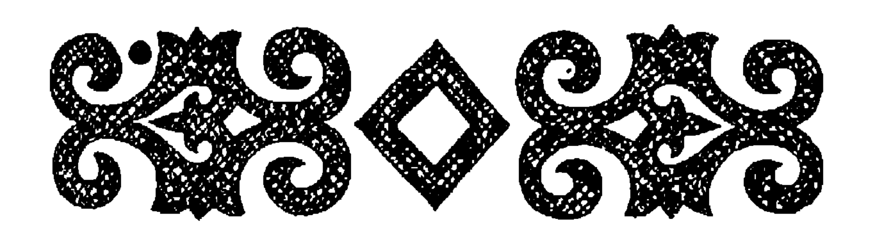
القلوب اليافعة تفرد احضانها
مؤمنة بالجميع .. ومباركة
ـ فالمنافقون لا ينصبون الشراك
ـ وليس ثمة رذيلة فى هذا العالم !

كم تلطخ الكون ايها المخاتل
بأحابيلك لعجوز صهرته الايام
اياك ان تلمس الشباب الغض
اخضر العود .. كقصب الشواطئ .

انه طاهر النفس ، نقى السريرة
ولهذا فانه يؤمن بك
تراك لا تستح من صنيعك
حينما يغفر فاه « كيف ؟ كيف ؟ »

عام ١٨٩١





حينما يأسر الشوق قلبين
وينفعلان فى دهش الايقاع
يتخضبان بالحمرة ، ويشحبان
ويستغرقان فى التأمل
وتتلاحق انفاسهما
حينها تأزف ساعة اللقيا .

لندع العاشقين .. ولهانين
فلا معنى للكلمات فى لغة الحب .

يضطرب الفؤاد
فى طريقه للموعد
على حفيف الاغصان
التى تبث نجواها .

تختفى ... وتلوح
الوجل والرعشة

والخدود متوردة ،
والأصابع تتجمد !

تائهان فى ضباب النشوة
يهيمان عناقا ، ووفاقا
فى غيبوبة السكر الالهى
اندغما فى لحظة الخلود !

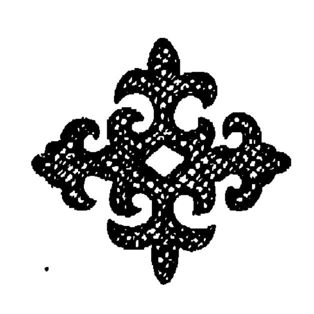
تغطيهما الاوراق الحانية
وترمقهما فى الليل الساجى،
هل هى سقسقة خافتة ؟
ام نجوى عاشقين !

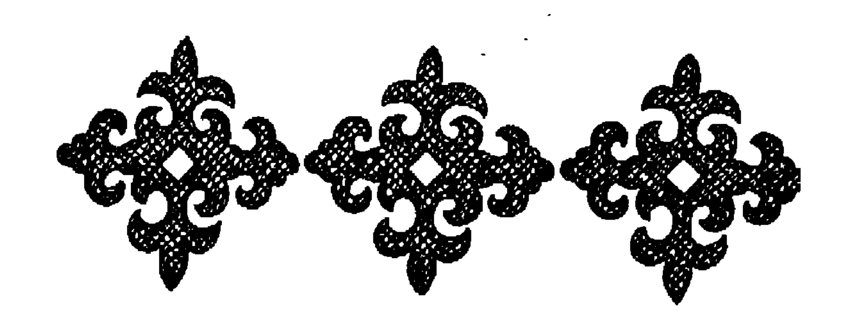
تحس الاذرع بالنبض
تلتف فى غبطة الحب
ونشوته التى تأسر
تخشى ان ينفلت الزمن !

سرت الرجفة بعد الهمس
واضطربت الاحناء
والعيون الساهمة
تختلج فيها الدموع .

ايها الفكر العميق ... ياعطر الكلمات
ماذا تملك هنا من حول ؟
ان اتقدت مجامر الدماء .
فلا احد يدعوك ، لا احد يدغوك !

عام ١٨٩١





مرهق من الحب
يا نور عينى
ودائى لا يشفى
عضال ... يضرب بمخالبه :

كلمات الشعراء تهافتت
امام جمالك الفاتن
عجز الشيوخ الملتحون
والحكماء ... الطيبون .

اغنى لاستدر الدموع
من اعماقى ... الملتاعة
وابدا تختلج على شفتى
كلمة رقيقة ... ورهيفة .

تلمحين خواطرى ومشاعرى
فلماذا اسهب فى الحديث ؟
سوف افتح مصاريع القلب
فاقرئى ما طاب لك .

يعذبنى ان حبيبتى
لا يفوتها حتى الخاطر الدفين
ولكنها لا تسترق النظر
فأنها تشك ... ولا يعنيها شئ !

يركع الخلق والهين
تمرين بهم كالظل
ويعفر التراب وجهى
فلا ترقين للمدنف الصب .

اذا انطفأت الشعلة المقدسة
تلاشى النور من العقل
فما اغبى هؤلاء الحمقى ..
حين تنضب قلوبهم من الحكمة .

واعلم ان الحب ليس عطاء
ولا منة مفعمة بالجود .
ابث اسراره واشواقه
ربما تسرى الى الوجدان .

تعالى ياحبيبتى متهادية
مثل الطائر السحرى
حتى اعب من حسنك
والثم خدك الوردى .

يسرح خيالى فى عينيك
ويضل زورقى ... فى سوادهما
وفمك الدقيق
يبرعم اللآلئ .

قوامك لدن ممشوق
وانفك بديع .. فاتن
جسدك كالحليب غض
ومثل سوسن الحقول .

تعالى ياحبيبتى ... ادعوك
اسعد باجتلاء محياك
استظل من هجير الأيام
فى واحة الحب الوارفة .

يزهر الربيع حين تفرحين
وتحزنين ... فيدلهم الشتاء
حديثك صداح البلابل
ومحياك ... نشوة وسكر .

معبودتى ... لا تفتعلى الغضب
فمن اجلك ترتخص الروح ،
اقدمها قربانا للحب
وانزف اخر قطرة .

في انفاسك عبق الزهر
والشمس الضاحية اشراقك
ورؤياك توقد اللهفة ،
والنشوة ... والطهر ... والالهام .

كلماتي عاجزة ومنهوكة
لا ترقى لمجدك الاثيل
لا تستطيع البوح بالضنى
بالسهد الذى يقض مضاجعى .

انت ... غبطة الروح
ومتعة الجسد
سوى الله جمالك
عبقريا ... وملهما .

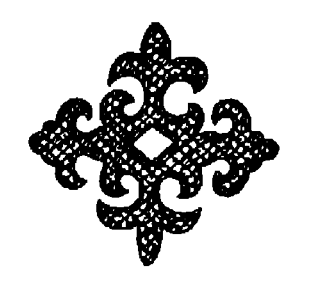
الجمال منحة المبدع
وهدية البارى للكون
علينا ان نخشع من حوله
كما اوصى فى كتابه .

ماذا فى جعبة الفقير
من كلمات الهيام ...
لقياك دوائى ، وشفائى
وعزائى ... فى الحياة الفانية .

كثيرون ياأميرتى عشاقك
فمن ترى منهم تختارين ؟
سوف يضيع منى الرشد
ان تركتنى للوحدة القاسية !
بسمتك الفاتنة
الآسرة المذهلة
تقطر بالدلال
كينبوع من النور .

الكل عطاشى للثم يديك
وروحى هالعة ... ومختنقة
اواه ... يامعبودتى ... متى ،
يشرق لليل بؤسى صباح ! .

عام ١٨٩١



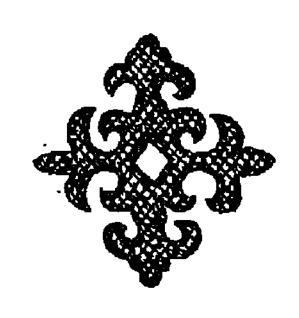
في اي واد تهيمين ايتها الروح
بوحي بالحق ولو مرة في العمر
دائبة البحث ، والركض ، والخفوق
فلنواجه بعضنا ــ العين في العين ــ
الفخور تجري من تحته انهر الثناء
التي يملؤها الناس بكلماتهم
ولعمري ... لا طائل من هذا المجد
ان كان ... اعمى العينين .
وهل تجدي الحكيم التحايا ،
التي يبوح بها عديمو الشرف
والذين لا ذرة لديهم من ضمير
لن يطرق سمعه ، سوى الهراء .
مثل المياه الراكدة العفنة
تأسنت افكارنا بالنفاق
ما اجدر العادلون والشرفاء
بالاحترام الخالص والاجلال

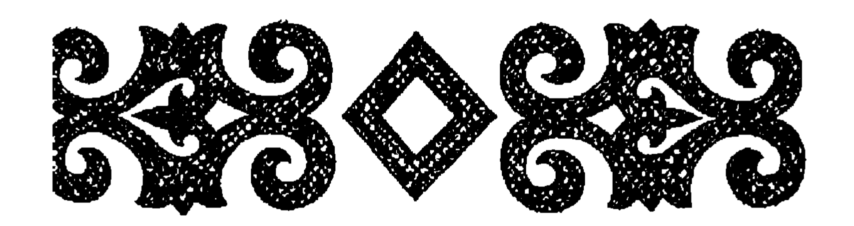
هنا تشترى الكلمات
وتزهق الانفاس برخص التراب
يلتفون حولك بالملق والنفاق
ويدورون مهمهمين كالنحل
الخداع الفظ .. يسوق البهجة للسمع
ما اتعس السأم الذى لا نهاية له
هل تسمع احاديث الغرام من بائعات الهوى ؟
ترن النقود ... حينما يخفت صوت العاطفة .

لست عبدا لكلمات الرياء
ولا اريد مجدا زائفا
الناس يستهويهم الخواء والشر
فهل ينقذنى من هذه الاحزان سوى الموت .

الحياة الدنيا مثل موجة
تضطرب وتتلاشى كالومض
ان كانت سعيدة او شقية
فهى مفعمة بالسم القاتل .

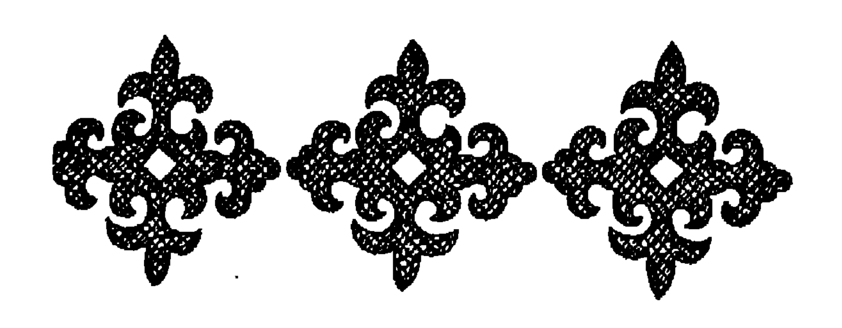
عام ١٨٩٢





اهجعى – ايتها النفس – اهجعى !
اتلقين بى اضحوكة فى فم الناس ؟
الا ترين كيف شوهوا مقدساتك
وكل ما كنت به تؤمنين ؟ !
العنزة اليتيمة لا تجزع الا قليلا
وسرعان ما تسدل ستائر النسيان .
اواه يا قلبى ماذا تريد ان تصنع بى ؟
والى اين تقودنى بعنادك ؟ !
روحى تلهث نابحة كالجرو
تبحث بلا جدوى عن صديق وفى
فأى كلبة هى ... تلك الحياة ،
ان لم تومض فيها سعادة الروح ؟
قلتم لا فائدة من اشعارى
وقبض الريح هى الانغام
فلأى شئ ... خلقت اذن ؟
وما فائدة الحياة بينكم ! .

عام ١٨٩٢



تولد الكوارث من وقدة الفكر
وينبع الغضب من الوعى
تخنق روحى الكوارث والغضب
ويسيل المى الدفين نغما
بأى شئ ؟ وكيف لى ان اسعد ؟
هذا انا عيش ..
لا الى هؤلاء ... ولا الى اولئك ؟

يسرح فكرى فى الماضى
فأراه ثمرة النواقص
اينما تولى وجهك فى كل الانحاء
تلقى كثيرين من العجائز المهمومين مثلى
ولو كنت حكيما سديد العقل
لأدركت ان لا جدوى من حياة كهذه .

لا يهب الغنى الوافر عقلا
والجمال لا يخلق الغنى
ومن يغرق فى السفاسف ، وتوافه الامور

سيبقى طوال حياته طفلا ملفعا بالخرق
ومن فى قدرته ان يجل التظاهر
بالاحساس الذى يسرى من القلب ؟
وحينما يبحر شراعك مهللا
فمن تراه لا يتمنى لك الربح الرخاء ؟
وكيف تثمن من يتلون ؟
حينما تلم بك عوادى الايام .

لنقل ان الناس يجلونك كرئيس
حينما تتجول متفقدا المقاطعات
وهذا يفعمك بالرضى والامتنان
ولكن السلم والرضى لا يستهويان الناس .

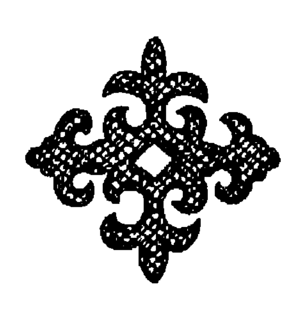
من يرفع عقيرته بالغناء
يتدافعون اليه بالمناكب
مهرولين ، مغتبطين
حتى لتختلط الاشياء وتزدحم
اما الذى يقول الحق
يرمقونه باستحياء ووجل
ثم يولون الادبار ..
مطلقين الاعنة لجيادهم .

سأحكي لكم عن شعبي
فلتعيروني اذانا صاغية
يشمخ البعض بأنوفهم
كأنهم الهة تمشي على الارض
واخرون يتمسحون بالقانون
ولكنهم ينقلون الافتراء والكذب
على وجوههم سيماء القداسة
يقنعونك باسم الاله
ومنهم من يهرع للحج
مع انه لا يؤدي الفرائض
ولم تلمس روحه من الاسلام
الا القشور والمظاهر .

لست موسرا ... ايها الاشيب
اغرب الى بيتك ، واترك الناس
فلو اندلع العراك بينهم
واشتد الطعن والنزال
اراك تبارك الاعداء
ولا تشيع السلام والاخوة
تقدم القرابين من اجل ذاتك
وتنبح في المصائب مثل الكلب المشئوم
اغرب الى بيتك ، واقبع ساكنا .

كثر فى زماننا العجائز المهيبون
والشيوخ الملتحون لا يجدون نفعا
لأنهم يشعلون العداء والفتنة .

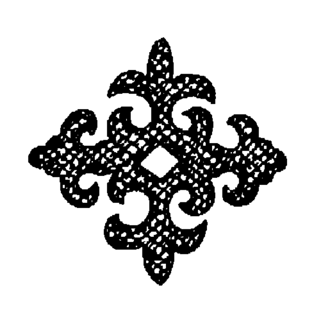
عام ١٨٩٢

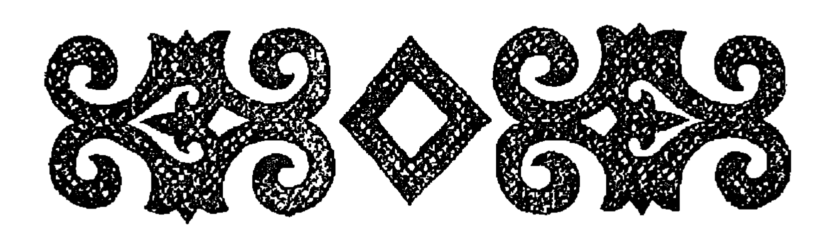


شعت عيناه ثم غاب عنا
اختفى كومض البرق الخاطف
ولكن صدقونى ... انه سعيد
لم ير كيف تنتكس الاعلام
وكيف تمرغ كرامة الناس ،
وعار الهزيمة ... والفرار !
غاب عنا جوادا ... ذا مروءة
لم تسود بقعة صفحته
ماذاق رعشة الكهولة وخورها
واندثار الأمل فى يفاعة الشباب
لم تتعذب عيناه الناعستان
بالواحة وهى تحترق
وجفاف النهر المترع ،
بالماء ، والأنداء ، والظلال
رحل عنا شريفا
لم تعتم سريرته
ولم تنحن هامته

ولعمرى ان رحيلا كهذا
فى عصرنا الفاضح
سعادة وشرف !

عام ١٨٩٢





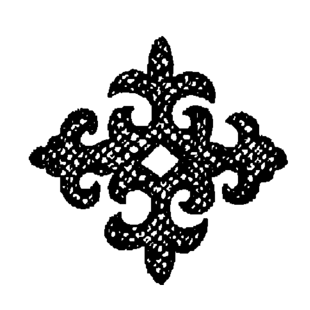
تمتد ظلال النسيان
وتغوص الذكرى فى الهوة
الذكرى المرة والحلوة
ويضم القبر الانسان !
آمالك كالنرجس غضة
كالنور تموج بالفضة
فتأمل كيف نكفن موتانا
ان حاقت صاعقة القدر المنقضة !

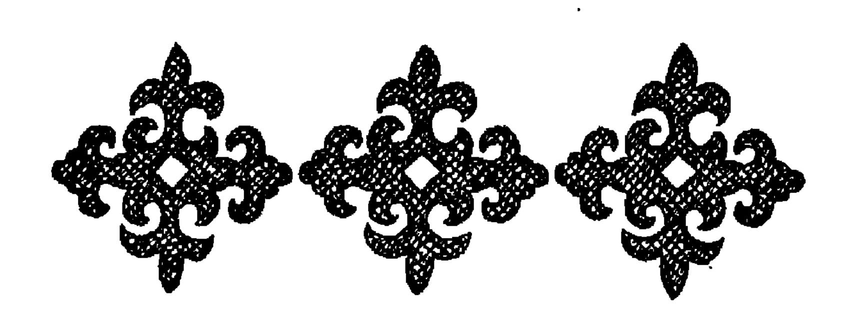
يا كم طرت وراء اللذة
تجذبنى الألوان الفذة
وها أنذا ألقى اللوما
كانت قد راقت لى يوما !

تروى الأيام المتلافقة
أن خلود النفس خرافة
تحكى للناس القصة
لكن الراوى ... لا تقتله الغصة !

عبثا نصغى ... ثم نعود ،
للقهقهة الجوفاء ...
والهمهمة البلهاء ...
وكأن المثوى لن يسعى فيه الدود !

عام ١٨٩٣





احس بالخجل
والعار الذى يلطخنى
حينما ارى من يزدهى كالفتاة
متأنقا فى حديثه
انزوى ... وانسل هاربا
حينما يرى ... واخجلاه
انه انسان قديس
لا نقيصة فيه .

معتد ، ومزهو امام الناس
لكنه محطم ، سليب الارادة
يخدع نفسه بالضحكات الجوفاء
صديقه من يغرقه بالعطاء
والعداء لمن لا يمنحه شيئا
ها هو يحث الخطى
باحثا ، ومنقبا
يحيا ... لكى ينهب
يثرثر هراء وسخرية .

ويزرع الفتنة بين الناس
يبيع شرفه بالقسم الكاذب
يبذر الظلام والاوحال
يمد يده المرتعشة بالسؤال
يتسول لدى كل « باى »
وينتفخ كالديك
حينما يقترف الشر .
فهل ثمة اتعس من هذا الانسان ؟

يتفنن فى شراء الذمم
من ذوى الشحم واللحم
فارغ الروح والفكر .
لقد تشوهت الاخلاق
فالقطعان تساق قسرا
والدنيا تضج بالاكاذيب .

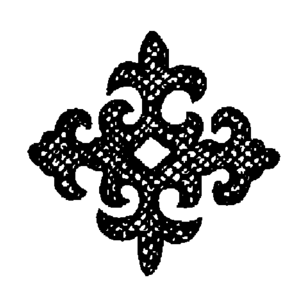
لو كنت «بابا» فأنت مقدس
او كنت « قاضيا » فأنت اخ حميم
الجيب هو المرمى ... والهدف
والناس غارقون فى اللهو
ازجى النصيحة لمن ؟
ولمن ارهف السمع ؟
نصائحى تضيع هباء ،

فالناس لا يبغون السكينة .
ليس ثمة عقلاء ،
ولا محبون للعدالة
فمن يزجى النصيحة الخالصة ؟

اين المهابة فى بلادى
وكل انسان جليل القدر
لا مكان له فى هذا العالم
الكل يدعى البطولة
ويتمسح بالشرف ...
العالم كالبيت الخرب
لا تسمع فيه سوى رجع الريح
ولا يستقر الحديث فى نفس الاحمق
كما لا يستقر الماء تحت الاوز !

حاجنى فاقتنعت
سألنى فأعطيت ..
وها انذا اعض بنان الندم
ولعل هذا قدرى !

عام ١٨٩٣



لا يدوم الخير طويلا
والشر لا ينسى ابدا
لقد هزل جواد الامل
فلا داعي للأعنة
والمهماز قد أدمى يدى
كيف له ان يسبق الكوارث .

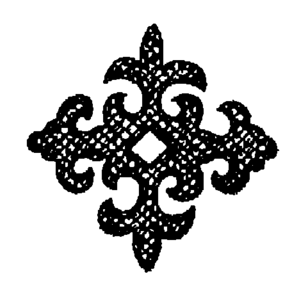
حينما اسرح بفكرى فى الاكدار
تنثال فى خواطرى ، تسحقنى
ومثل الحارس الذى لا تطرف عينه
تستقر سهام الالم فى قلبى .

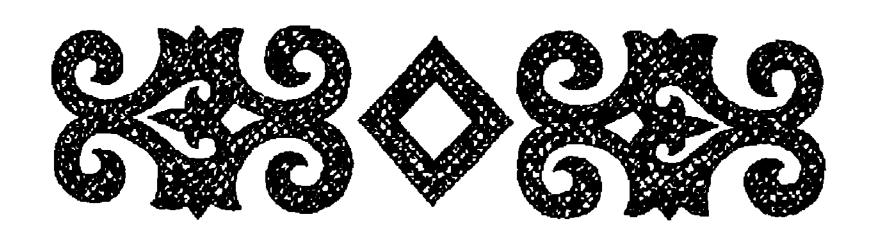
تظل السماء تخفى وجهها
اذا لم تتبدد السحب الجهام
ولا يطفأ غليل الروح الظامئة
اذا لم توشحها السكينة
وتظل البسمة مرتسمة على الفم
اذا لم يهطل الحزن ... كالأمطار .

الحزن يقود للعبودية ،
يدمى الانسان حتى الموت
ان اذعنت له
فالويل ثم الويل
ان تتابعت الهموم واحدا بعد اخر
تدع الانسان بلا حول .

الصديق الجاهل اللحوح
اكثر ضررا من العدو
وأحسن الجميع
هو الذى ينعق كالغراب
وينعب مثل البوم
ولكن ماذا تصنع مع الحمقى
ما اكثر التفاخر الكاذب
الذى يغرق مواطنى ... وجيرانى !

عام ١٨٩٣



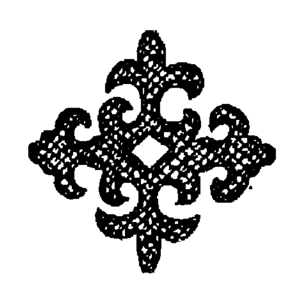


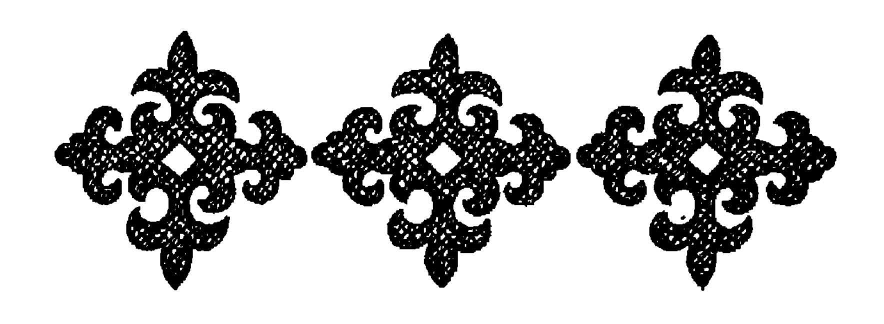
ها هو الخريف يوشح حياتى
فكيف امسك بالعافية الهاربة من يدى
افكارى تزدهر .. كالصيف المورق
ولكن هيهات ان اعيد الربيع .
ينهمر الثلج فى داخلى الآن
فكيف ينبت الزهر فى الصقيع ؟
واعلم اذا اتقد المشعل فى الفؤاد
فلن تطفئه زوابع الثلوج واعاصيرها .

اذا كان الانسان ضعيف البصر
فكيف يرشد مهيضى الاجنحة ؟
من يأنفون من المعرفة
وليس لديهم سوى الهدف الحقير ،
لئيمة وباطلة كل صنائعهم .
ثمة اناس كالذئاب الجائعة
طفيليون فى الولائم والاعراس
يتلقفون العظام والشحم
يتسلقون ، ويعيشون كالذباب ،

الذى يهيم ويطن على طعام الغير .
خل سبيلهم فها حكماؤهم
وشرفاؤهم يتباهون كذبا
الخسيس برأيهم هو الانسان
والهادئ الطيب جبان
فكيف اعثر على السعادة
فى هذا العالم الغريب ؟

عام ١٨٩٤



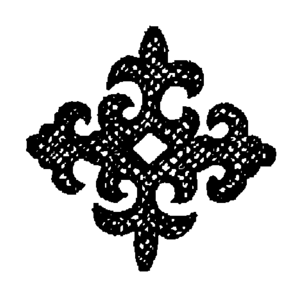


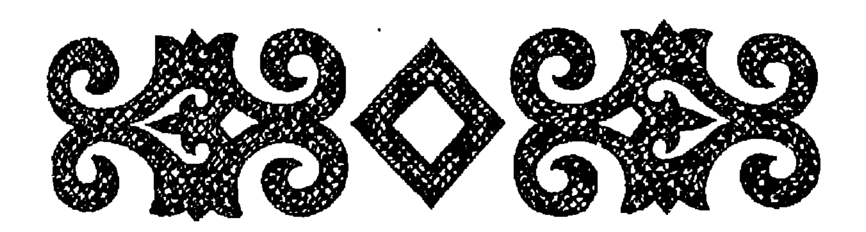
قلبى يفيض بالحزن على الشباب
ينتابنى الغضب من ادعائه وضياعه
فقد القدرة على الابداع والاستقامة
ها هو ينهب ، ويسرق ، ويعيث فسادا
لا يفزعه الشر ، ولا يتخلل الخير روحه
ولا حد لديه بين الكفر والايمان ؛
يبيع قسمه ، فالجياد الفارهة ،
والمواعين المليئة بالطعام .. كل امانيه
من يستهويه هذا الشباب الفارغ ؟
اية حرف يمكن ان يجيدها ؟
ان كان يقضى حياته مخادعا ،
مخاتلة هنا ... وصراع هناك :
مجتمع يفتقد الثقة والعدل ،
ضميره مرقع كالخرقة البالية
فليقسم الشباب بروحه التى باعها
فما من احد يصدق هذا الهراء !

عام ١٨٩٤

يتناجى المحبون بلا كلمات
باللمحة ... والاحساس العميق
فلتؤمن بالشباب ، او تسخر منه
حينما يتحرق فى لظى الحب !
فقد عرفت لغته القديسة
تخطف الابصار وتضرم النيران :
ادركت اسرارها الخفية
وغدت نائية ... بعيدة المنال .

عام ١٨٩٤





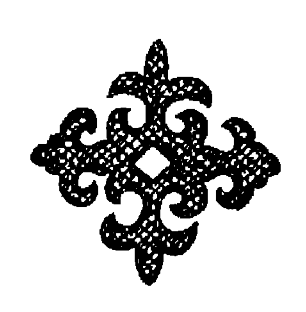
الحكيم من يعرف موضع قدميه
فكن بصيرا فى اختيارك .
العقل والعزيمة تنتشلان ،
من يهرع للشر معصوب العينين
فيغدو فى العالم المتناغم ،
لبنة فى صرحه الشامخ .

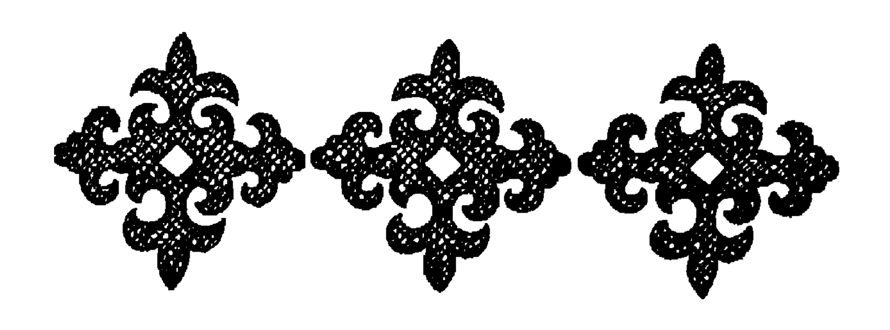
العقل يقوم الجموح
والعزيمة شعلة لاهبة
فلا تجعلن عزمك الوثاب
ايها الكازاخى الهمام ،
يسوق عقلك للجحيم
يسبقه كالجواد الجامح .

لا تستعبدنك الانانية
وتتوه فى بريق المجد
الخرق التى تستر البدن
تخفى المعايب والذنوب ،

فلا تمدح ما ملكت يمينك !
اللعنة ... ان ايقظت الفتنة
والعار ان اشعلت البغضاء
ومشيت نماما بين الناس .
لتكن متواضعا وشريفا
حينئذ لن يضيع جهدك
والأب الفاضل المربى
لا يمل من تهذيب بنيه .

عام ١٨٩٤





هل تصغى يا الهى
الى انفاسى المحترقة
الهمنى الخوف منك
وبث فى قلبى السكينة .

متوشح باللهفة والجزع
فكيف لا اخشع واصلى
لترحمنى .. ياالله السموات
فكيف اعيش ، وفلذة كبدى يموت
القلب يدق .. كما يئز اللهب .
فؤادى تثلج من الاحزان
اليك ضراعاتى ، وخشوعى
فى هذا الصمت الساجى .

الله يسمع دعوات عبيده
ويقبل الصلاة ، والتوسل
لتمنح ابنى العافية
فأنا غارق فى الدمع .

يداى ترتعشان ياالهى
ولسانى لا ينطق
فطلعة ابنى النضيرة وحدها
تبعث الامن والمسرة
سأكون شعلة ، وصقيعا
سوف احترق ، واتجمد
لو لم يقدر الاله
ان اعانق ... حبيبى ؟

يتصارع الامل والفزع
فى قلبى ، ويختلطان
لا معنى لهذه الكلمات
فأفكارى تضرب بلا هدى ؟

ما الذى حدث يا ترى
واى شئ يجثم على صدرى ؟
كيف يرمى الطبيب حكمه اليائس
هكذا بلا رحمة ، او تبصر.
افظع من مرضك الذى يسحقنى
هذا الحب الغامر يا بنى ،
الذى يحجب عن ابيك ما يعذبك ،
حتى الموت ويرهق بدنك الغض .

لو لم تجد الطبيب النطاس
فالمشعوذون لا يجدون نفعا
ما ارخص النقود من اجلك
ولكن لا تضيع وقتك سدى
اغدق على الطبيب .. ولا تشح
ليكن ، ولتسل الفرحة فى محياه
فياكم وددت .. الا يعذبنا الهم
ليلا ، وان يشفى حبيبى :

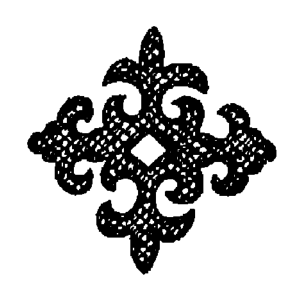
يقولون يا «بسمات» ... ان لديك حفيدى
رحماك . كل روحى وعافيتى
ونور عينى .. وما تطلبين
فداء للحبيب الغالى .

سعادة ان يجلنا الصديق
هذه قسمة راضية
لو كان بيدى لرحلت اليك ،
ولكننى لا املك من امرى شيئا
العين انهكها البكاء
شحب الوجه ، وتشقق غضونا
وحتى ندخر القوى
فاننا نصلى للاله كل حين .

لتقرأ خطابى بامعان
لتتأمل فى كلماته الوالهة
فان رأيت فى نفسك القوة
فلتشد الرحال ولا تتعذب
هذا سكنك يعانقك من بعيد
وكل الناس اهلك المقربون
واحبابك فى لظى الشوق
يتلهفون فى انتظار اللقيا .

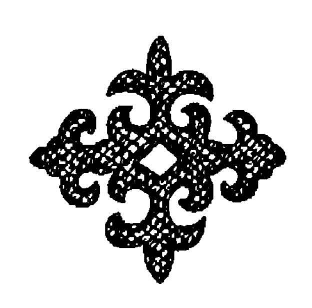
يا الهى .. يهمس الخلق من حولى
ويمضون مطرقى الرؤوس
ان قهرت المرض يابنى
سوف تزهر قلوبنا القاحلة .

عام ١٨٩٤



اندثر عهد الطفولة فى زوايا العدم
واقبل الشباب العاتى كموجة عارمة
ثم انداحت فى عباب الزمن
وها هو المشيب يغطى مفرقى
من يدرى ربما تكون خال من الشرف
ويئست ، وخاب املك فى الخير العميم
والآن هويت الى لجة القلق ، والاضطراب
وربما يكون الأمر شيئا اخر ؟
لقد قتلت نفسك
مثل الناقة التى تقضى عمرها
بين مرابض الماشية
وهى تحنو على الانعام .

عام ١٨٩٥



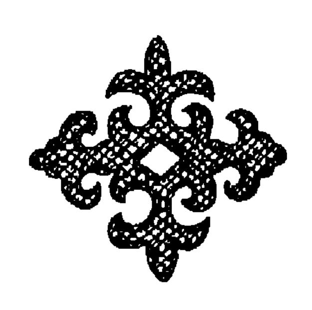
ربما تفنى الطبيعة ، ولكن سيبقى
الانسان ابدا
وهيهات ان يعود من رحلته للدار
الباقية
الجهلاء وحدهم يطلقون الموت على
« الرحيل »
على فراق « الانا » للاشياء .

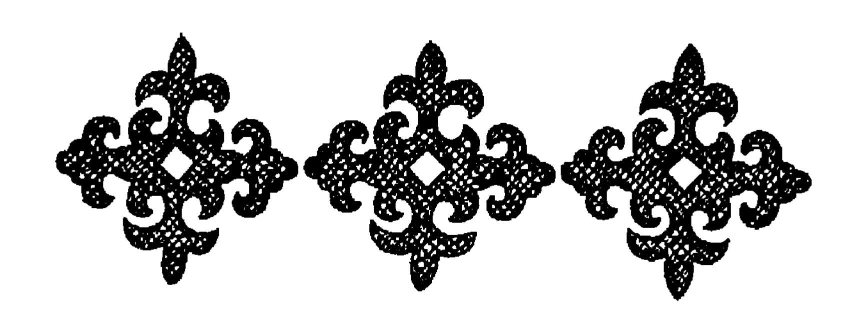
كثيرون من يستعبدهم المتاع
وهؤلاء مصابون دائما
هل يمكن ان نقول مات فلان
ان خلف بعده كلمات خالدات .

ومن الناس من لا يلقى بالا لما
يحيط به
من ضروب العيش الفانى
ولكن ادراك الحقيقة ليس سهلا
لمن لم يؤت دقة الحس ، وعمقه .

محال ان تعشق الدنيا والاخرة
فالارض لا تختلط بالسماء !
يود ان يقول لسانى من تسلبه الحياة
اللب ليس مؤمنا ، ولكننى مرغم على
الصمت !

عام ١٨٩٥





« ماجيش » يا اخت روحى ... كفاك نحيبا
لتتساندى .. فى العاصفة المرعبة
ولا يسممن عذاب الموت
قلبك ... حتى القاع !
تذبل ازهارك اليانعات
وتعتم روحك من وقع المصاب
اواه .. عاجلا .. او اجلا
سنذوق هذه الكأس المرة
لست وحيدة فى لوعة فراقك ،
للألف ، لست وحدك ابدا !
شقيقة روحى ... قسمتنا
هذا الحزن المقيم
فلتذكرى ان قدر الانسان
هو الموت ... منذ مولده
لو كان عظيما او خاملا
فالمنية تسوى بين الاسماء .
سوف يحين قضاؤنا المحتوم
ويغلق الصمت علينا ابوابه

من تراه ينتصر على الموت ؟
الذى يستعبدنا !
العالم .. والازمان كلها ؛
خاضعة له ، وخاشعة ابدا

اعلم يا ماجيش انه كان ربيعا
مزدهرا بالحسن والاخضرار
ولكنك تنتحبين بلا جدوى
فدموعك لا تعيد الذى غاب ◉
حانت الساعة ، ولف الصمت الغناء
ولن ترتعش الاوتار بعد !
لا يلوح فى الافق ظل نهار ،
شهى الضوء .. يتلألأ .
يزخر العالم بالالوان ، والجمال
ولكنها تشع .. لتحتضر !
خادع هذا العالم ، وسراب ،
ضوء القمر على الروابى .
تقتلنى غصة الاحزان
وارزح تحت ظلمتها الكثيفة
وانت بدمعك الهاطل يا ماجيش
لن تطفئى لهب المصاب !

ضاقت الارض امام صقرك الفتى

فطار الى الاعالى صوب الشمس ،

اختار الموت واسطة العقد

من ابنائى وزهرة الدار ؛

اواه ما اثقل الحسرة .. ما اثقلها

ما اتعسنى بين الاحباب !

كفكفى دمعك باماجيش ورحماك

بأبيك ، وامك ، والأقربين .

كم هو قاس هذا القضاء الظالم

فلتجمعى شملك وشتاتك .

النفس سكرانة بالعذاب

اواه ما افدح المصاب !

ما اجدر ان يرحم بعضنا البعض

فقد اصبحت افقر من فقير .

اواه ... تقتلنى الحسرة والبين

وابحث عن ابنى سناد

ولكن اين هو ؟ اين ؟ ..

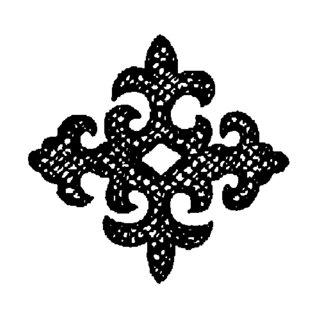
قريبة من القلب هذه المصائب

فلا اكاد اعرفه من الوجوم ؟

خطبنا ثقيل ، وجليل :

بنى الحبيب لن يفيق من سباته
لقد اصبحت غريبا بين الناس
وحيدا الى الابد
يا ماجيش يا شقيقة روحى .

عام ١٨٩٥



اى دمع مر ... يا رب
شئت ان تقدره لى
غادرتنى امى الحبيبة
وقطعت طفولتى فى النشيج
النار المشتعلة فى روحى
تشوى بدنى
والالم القاتل لا يطاق
ابتهلت للسعادة سنينا
ثم قطعت طريقها الى
رباه ... قد علمتنى الصبر
وانا ما ازال بعد فتاة
وحكمت على بالفراق الابدى
رحل حبيبى « ابيش »
فكيف احتمل ... اواه
ذبلت ازهارى الناضرات
واصبحت عودا يابسا
صخرة الهم قسمتى
ويلى قد اصبحت ارملة

« اثنان وعشرون ربيعا » من العمر
ويهجرني حبيبي ، فياللقسوة
لم يرسل الى القدر اياما صافية ؟
كلها معتمة بالسحاب الجهم
النار تضطرم في اضلعي
ليس في مقدوري ان اتجلد
الزمن الذي ولى ... لا يعود
والحزن الهائل لا يجدي
تبددت احلامي هباء
وتمزقت روحي بددا
وذرت الرياح حبي قبل الاوان
وسأغدو وحيدة مثل قطرة الطل !

ابدا ... ما جففت دموعي
وجرحي لم يندمل
كان بعيدا عني حين رحل
فلم الثم جبينه مودعة
الكلمات التي لا تقال
تسحق صدري ، تؤرقني ،
ما ظل ينبض لي عرق
فسوف اغرقها ... بدمع العين !

لماذا كتبت على هذا الهم ؟
هذه الحسرة التى لا تضمد !
وجللت حياتى بالضباب
ورميتنى فى المتاهات
والافق الاصم الشاحب
متلفعة بالسواد والهموم
مطرقة الرأس ، خفيضة الصوت
فى المنزل الخاوى المقفر؟

نبتت الحشائش على اثار اقدامه
كيف اعبر عن افكاره المنيرة
التى كان يستهدفها ،
عن احلامه ... وخلجات فؤاده ؟
وضميره الحى المقدس !

كان زوجى حصيف الفكر
فطرته التواضع ، والعدل شيمته
لا يسوق المديح او الزلفى لاحد
كان وفيا وعفيف النفس .

ولت السعادة الادبار
وخيمت الحسرات والمصائب
على القلب حداد ، اسود كالليل
وهيهات ان تشرق الشمس بعد !

سوف ابوح للجميع ، واحكى آهاتى
ليصغ العالم الى دمعى الهتون
حتى يعلم ان العتمات الكثيفة
قد حطت ، وحجبت النور للابد ؛

جرى نهر الدموع المشتعلة
فمن اين لى ان اوقف جحيمها ؟
انتظرت السعادة فلم تقبل
وعشى تناثر فى صقيع الكون ؛
ان كنا نعبر العالم مرة واحدة
فلماذا يخيم الظلام ... هكذا ؟
مكتوب على الجبين ان مسيرتى
حتى القبر فى درب الآلام ٭

عبثا انادى المنية
وهى تصم اذانها دونى
الا تعلم ان ارملة مثلى
ليس لها — من الان — سوى العذاب ؟
ينتابنى الحنين والشوق
ولا قبل لروحى بالجلد ؛

حينما فاضت اخر انفاسك
اطفأت شمعة الامل

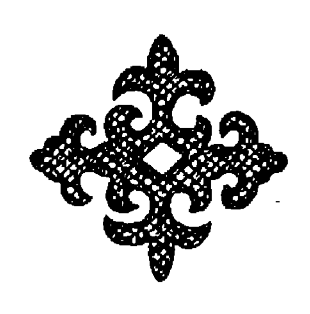
المنية وحدها هى الخلاص ،
والتى ستبدد العتمات
دائى العضال المر ...
ينخر حتى العظام
وليس له دواء
منذ طفولتى الاليمة
تظلنى شمس سوداء .

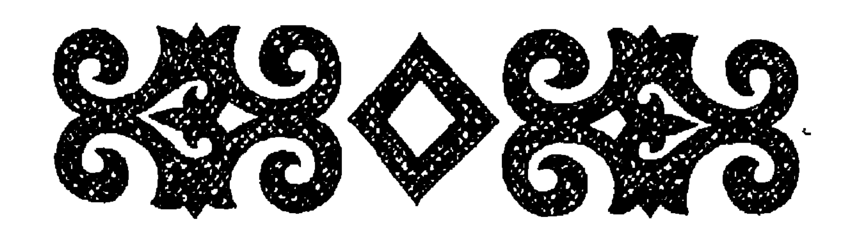
كان شعاعا لظلام ليلى
وهاهى الموجات السود
تغرق حتى النهار
قص القدر جناحى ... فلن اطير بعد
لأنه لا غد لى .. ولا آفاق .

مثل الحلم طوق حياتى « ابيش »
وكما تبدد الاحلام غاب عن الوجود
لا اطيق الفراق ساعة من العمر
فكيف اكابد الامه مدى الدهر ؟
كيف املأ الفراغ الموحش ؟
وجراح قلبى لا بلسم لها .
كان شمسا تدفىء ارض اجداده
وهو بعيد ناء عن الديار
لقد انحدرت من قمة الامل

الى هاوية الأنين واليأس
كنت املك كل المسرات
كل الافراح والاحلام
وبستانا اخضر ...
فرت النعمة ... وبقيت السموم !

عام ١٨٩٥





انهكت الحسناء الريانة
فى ابهاء قصر الخان
وكان يتحرق اليها ، ويطن حولها
اسبغ عليها الحرير والديباج
والوصيفات البديعات طوع امرها
لم يخطر ببال هذا « الخان »
ان الحب لم يلمس شغاف قلبها
واضطرمت الرغبة العارمة فى جسده
ولم يكن للمسكينة خيار سوى الموت
فألقت بنفسها فى قاع النهر .

لم تبهر الرياش والاثاث الفتاة
فهل تستوى الكهولة والشباب ؟
وماذا يجدى كهل قعيد ، مطرق الرأس ؟
يتحرق لأيام الفتوة التائهة فى فيافى الزمن !

الذهب لا يرغم الجمال على الركوع
والحب لا يباع فى الأسواق

فأى سعادة ونعيم ، أو عز وجاه
في اقتران ذى الاربعين ببنت الخمسة عشر ربيعا

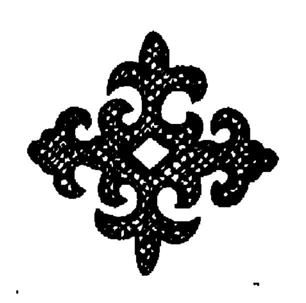
لا يستحى الكهول ... وهم يغتصبون الفتيات
ولا يحسون باللوعة التى تضنيهن
ما اتعسه قلبى وهو ينفطر ...
كأنهن القطيع ... يقضى العمر مع الاشباح !

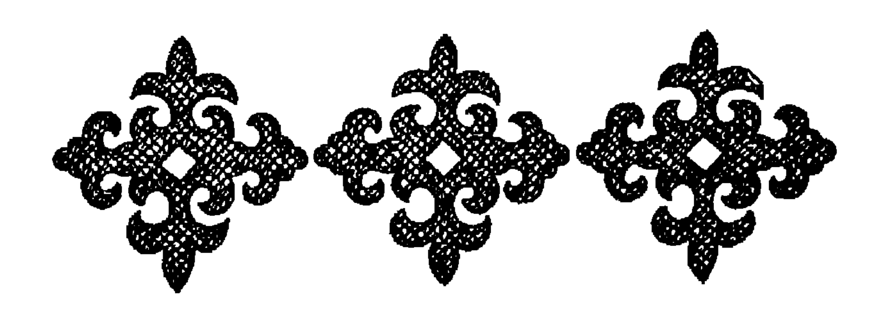
يحن الكهول لايام الشباب الغابر
ولكن المهر ، والاموال .. لا تعيد الزمن
هل تقوى يداك المرتعشتان
على اعادة الشباب الذى ولى ؟
ولماذا تخنق بهما انسانا اخر ؟
لم تلق بالا لروحه المعذبة !
ها انت تتمايل خيلاء ...
فلك زوجة شابة ! ..
شيطانة صغيرة تدللك .

ولكنها تضحك على ذقنك يا صاح !
ايها الباى العجوز تأمل .. فقد يقال
ان الفتاة قد زرعت لك قرنين .
تتفاخر بثرواتك العراض
ولا ترى مصيرك التعس

فى قتامة الهوة السحيقة
تتطاول على زوجتك بألسنة حداد
لكى تستدر عطف الشابات
ولكن لا فائدة من ذلك ياصاح ،
فما ابعد الفارق بين النبات ، والقتاد ،
وهل يستوى الربيع ، والشتاء ؟
لا جدوى من خداع النفس !
فتداعب من لا يكن لك حبا
ان قرنا بأكمله يقف مهولا
كالسور بين عاطفتين
فكيف تلتحمان وتتناغمان ؟
هل خوى عقلك ... يا شيخى المأفون .

عام ١٨٩٦





تدق الساعة وهى تشيع مواكب الزمن
ها هو ينحدر عبر وادى العدم
غالية هذه اللحظات النابضة
لأنها لن تعود الى الابد
صوت الساعة المهيب
يرفع راية الموت
والحقيقة التى تقول .. كل شئ زائل
لا يعود القهقرى .. هذا الزمن الضائع
تن ، تن ، تن
ما اعمق هذا الصوت
والحياة تلفظ انفاسها
ما ابشع هذه الحقيقة
ندفن رؤوسنا — ازاءها — فى الرمال
تمر الايام ، والشهور ، والاعوام
وفجأة نواجه الكهولة الكالحة
ليس ثمة من خالد فى هذه الدنيا
سوى الخالق المبدع ..
وهو السند والملاذ .

عام ١٨٩٦

يحمل الانسان طائر الروح الملهم
حينما يغرق فى خضم الافكار المسهدة
والاغانى ... ظل هذا الطائر العبقرى
ترف بجناحيها الرهيفين ... كالاحلام .

مرة يحلق الطائر .. او يتموج كالنهر
فيوقظ الفكر ... ويلمس اوتار الاحساس
الاغانى تضم فى حناياها خطرات ممتعة
تتجسد فى الصوت والنبرة ، والايقاع .

تثير الاغانى القلوب الغافية ...
وتهدينا لدروب الافراح والاحزان
وتهدهد ارواحنا ... مثل الأطفال
فما اقل من يتفهم اسرار الغناء !

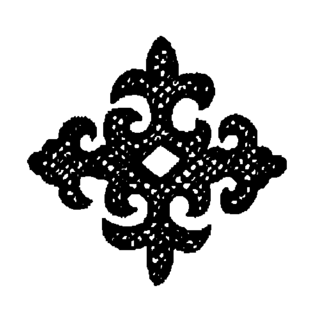
لماذا تدوى هكذا بداية مقاطعنا
كأننا نساق الى الانصات عنوة ؟
لماذا لا تتهادى الاغنية هادئة ومشجية ؟
ينبغى ان تنسج اغانينا ... وتتناغم .

ياكم تضم الالحان العميقة الساجية
من كنوز معطاءة ... وفلسفات ،
ومعان ، وخبرة .. وافكار
تكتنز بالخطرات والاسرار !

اسوق قوافى .. وانسجها للطيبين
فلست شحيح الكلمات او فقيرها
ابعث البهجة فى قلوب الاذكياء
فتدرك ارواحهم المشتعلة ما وراءها !

الحزن مطاف الحياة ... وشاطئها الاخير
ستكون ملحمة ... مفعمة بالمسرة ،
لو سرت فى كيانك الاغانى الاسرة ،
ورفت بجناحيها ... كطائر الروح الملهم .

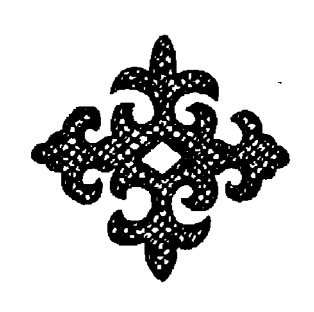
عام ١٨٩٦

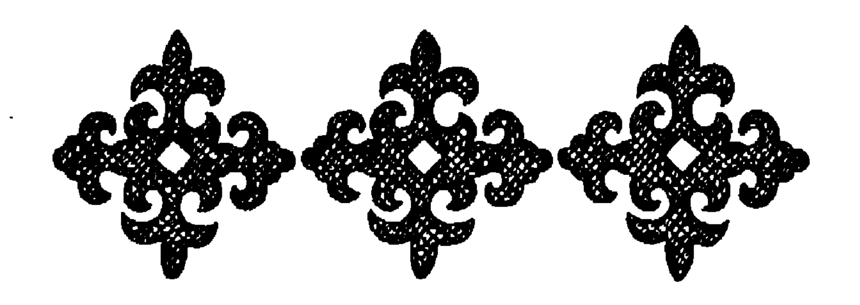


حينما لا يخنق الروح شيء
وتتخفف من اعباء التراب
تتماوج فى وجدان الشاعر
نغمات الالهام الالهى
حينئذ يتدفق النغم وينحدر
صاخبا .. كالأنهر الجبلية ...
تستيقظ الروح من غفوتها
وتفيض عواطفها ـ بلا شطآن
ساعتها تتجمع كل قواه
تنهمر كلماته .. وتبرق ،
وتجيش افكاره الغنية
وينبهر النهار بالضوء المقدس !
وحينها يتأمل فى الماضى
يزيح بأنغامه تيار الاباطيل
ويهب نفسه للابداع والخلق
وفى وجهه المتعّب عينا صقر .

يلقى الشاعر بلعناته الصاعقة
على الظالمين ... والمستعبدين .
تحيق بالعالم الهموم والكوارث
فمن سواه يحكيها للبشر ؟
كلمة الشاعر العملاقة الغاضبة
تنصب محكمة الشرف والعقل
يكتب ما يمليه الضمير ..
مكتسحا ... كل الاوشاب .

عام ١٨٩٦

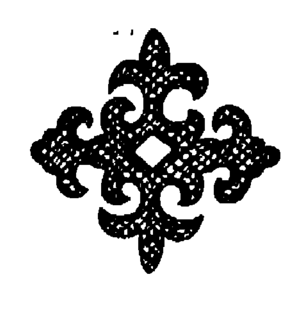




تركض السحب فى السماء
ثم تنهمر مطرا غزيرا اسودا :
يفيض القلب بالحرارة والشجن
وتبكى اللوعة فى تلافيفه :

يسح المطر ... فيخضوضر العشب
وتتلألأ الانهار بالبسمات
ولكن رأسى تثقلها الهموم
والحزن العميق يعتصرنى :

عام ١٨٩٦



ضفائر الضباب تنعقد على قمم الجبال الحدباء
وانت تحدق بأمل فى هذا الفضاء المعتم
تتابع الايام التى لا ملامح لها او ظلال
كأنها تسرى خلال حجاب كثيف
تفرد اجنحتها .. وهى تطير عبر الزمن
فمتى يا ترى .. يحين يومى الاخير ؟
يزحف خلال الظلمات ونحن معصوبو الاعين
حيث تذهب الروح الخالدة الى بارئها .

باللضياع ان كانت الريح تذرو التراب
والجسد والدم قشرة زائلة وفانية
ولكن الفكر خالد .: اعتى من الموت .

ان ركض البدن وراء اللذة والشهوات
فما اصغر السفاسف التى تستغرقنا
لا تضق ذرعا ولتتجمل بالصبر
ولتستهدف الحق ، وراحة الضمير
قبل ان يحين الكرى الذى لا يقظة بعده .

كيف نخدع الحياة وهى تفر من ايدينا ؟
والسعادة تهترئ مثل الخيوط البالية
اواه كم تعانى النفس من الوجود المهين
وتتمزق من جهامة الاكاذيب .

العائدون من الدنيا بالصمت والاكفان
لا يملكون سوى الزمن العابر كالبرق
ان تناغمت الوان العالم فى تكوينها
فمن العبث ان نعتقد اننا سادة الكون .

لقد صاغنا الله للمحبة والخير
لتتساند قلوبنا كالبنيان المرصوص
فلا ينضبن ينبوع الرحمة فيك
حتى يفيض البارى عليك من نعمائه .

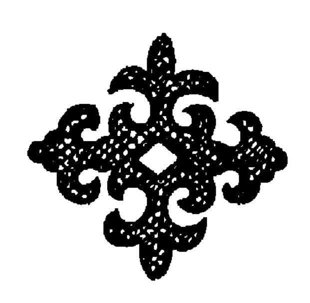
* * *

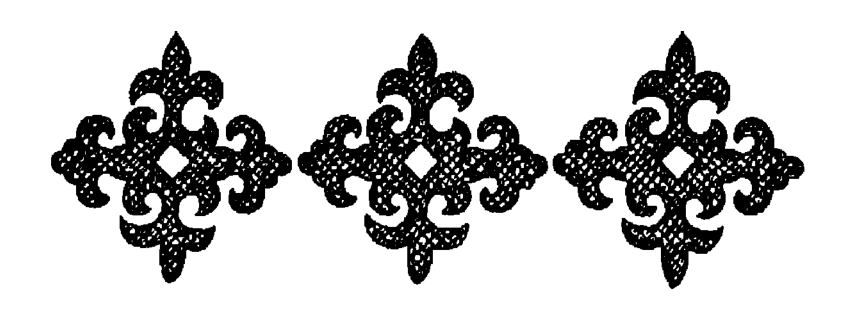
ليس فى طاقتك ان تسبر غور الانسان
الحمقى وحدهم يمشون خيلاء وزهوا
والظلم الكثيف يحجب نور القلب
والحكيم من يتحلى بالتواضع والصمت .

عام ١٨٩٧

كاذب من يحمل على كفه المديح
ويقدم المكر على طنين الكلمات
لتكن رجاحة العقل ، وعرق الجبين
عمادك اذا توثقا ... والتحما
لا تأسرنك الوشايات ، وتستعبدك
او تفخرن بالزلفى .. والتملق الكاذب
اتراك ترضى بالخداع الذى يضلل ؟
ان كان رنينا اجوفا ... وسرابا ؟ !
لا يقصمن ظهرك الظلم .. ان جثا عليك
ولتكن اهلا للسعادة ان اقبلت
لقد طال بحثك عن لؤلؤة الحكمة
فلتتأمل فى اعماق القلب الغائرة .

عام ١٨٩٧





يا رفيق الصبا والطفولة
التحايا اليك باقة جميلة
هل تعلم ياروحي انى
اشتعل واحترق رمادا !

يتلهف وجدانى ابدا
رب اراك اليوم ، غدا !
فأين تهبط السكينة
فى هذه المفازة الحزينة ؟

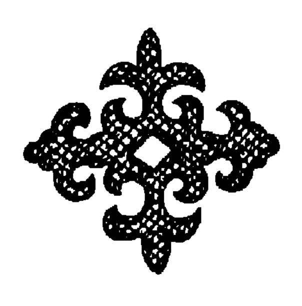
انت النور لقلبى
يتلاشى فى وعر الدرب
قاحلة بدونك الحياة ...
وصوحت اوراقها على الفلاة .

عام ١٨٩٧

تضج الحناجر بالغناء السمج
فهل هناك معنى لهذا الهراء ،
الذى يصخبون به فى الاعياد ؟
وماذا يثير من المتعة والمفخرة ؟ !

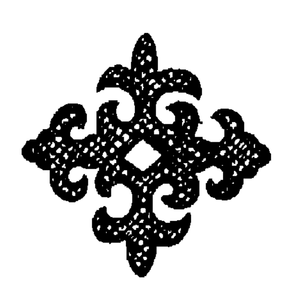
يتكاثف الضباب والظلام الدامس
فهل اعتبر هذه الاشباح اناسى ؟
تنبسط السماء ... كالحياة الخاملة
فأين مغزاها ، وسرها الالهى !

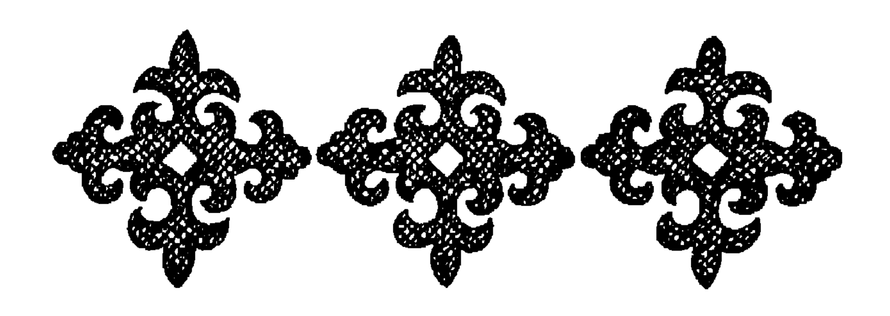
عام ١٨٩٧



منسحقون فى الثرى كالجماجم
يمتص الطفيلى .. والمحتال دم القلب
ونلقى هشيما ... تذروه الريح
وما زالت طلقاتنا تطيش سدى !

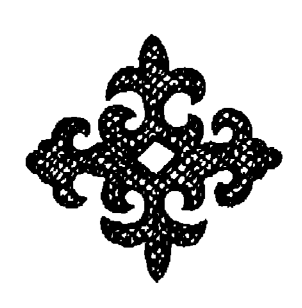
عام ١٨٩٧





تشرئب زهرة الثلج فى الربيع
تسائل النسيمات عن قدرها
تأمل ان تكون اعلى من البلوط ،
السكران من حرارة الشمس والربيع
ارتعدت الزهرة مع حشرجات الصيف
ولم تبلغ قامتها .. حتى طول الحشائش
وانا ايضا ... حلمت في شبابى
بالامنيات التى لا تطال !
التجاعيد تزحف .. وسيفى مثلوم
و صوتى خائر .. ودمى بارد كالموتى .

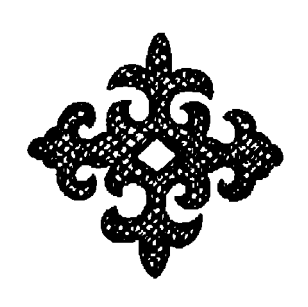
عام ١٨٩٧

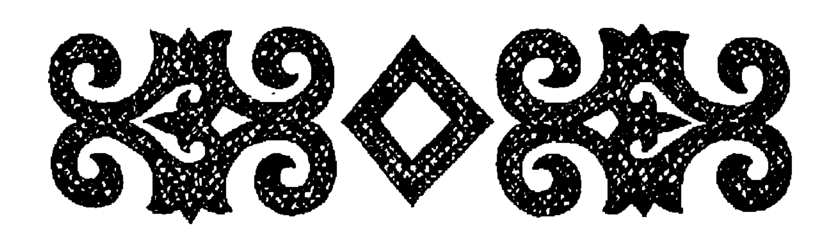


الاغانى تهدهد النفس
وتحنو على البدن المعنى
تغمر الفكر بالحيوية
لو احببتها ... مثلى !
حينما ارهف السمع للاغانى
استمد من دفئها قوة
انسى الكائنات من حولى
واخرج من هوة ذاتى
مثل مسافر فى صحراء
متعطش للنبع الثرار
انسى الذعر والمتاعب
كأننى لا اعى ما حولى !
تثير فى الاعماق النائية
الفرح الذى كان ... والاحزان
تبعث تصورا بالمتعة
وتداوى الام القلب .
كأننى اصيخ الى صدى الحياة
امتلك مصائر احلامى

وتتهادى فى خاطرى ذكريات
كان الماضى قد غمرها
تنبعث المواكب من جديد
فأستغرق بكل مشاعرى
احس بأن ما يدور حولى
حقيقة ألمسها بيدى .
امتلئ ايمانا وسموا
فأكف عن احتقار المنافق
اراه فى ضعفه البشرى
فأى شيء لم اجربه فى حياتى ! ؟

عام ١٨٩٧





ايه يا لغة الكازاخ ... يا زخم الشعر
انت الهام الروح المتدفق
شعاعك الذى يلمع كالنصل
كأنه البرق الخاطف قبل العاصفة
تمزق عبر السحب الدكناء ...
هيهات ان يعى اسراره الحمقى !

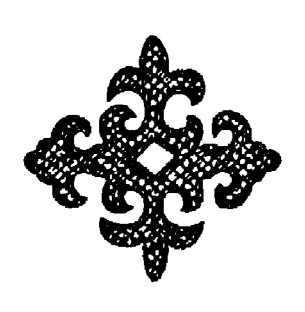
وهج الافكار الجريئة والصدق
يحيل لسانى الى سهام ثاقبة
لا يبخل الشعر بقواه فى المعارك
يتألق بكل عطايا الرب
ولكن شعبى يغط فى النوم
وهل تراه يوقظ النحاس الموتى ؟

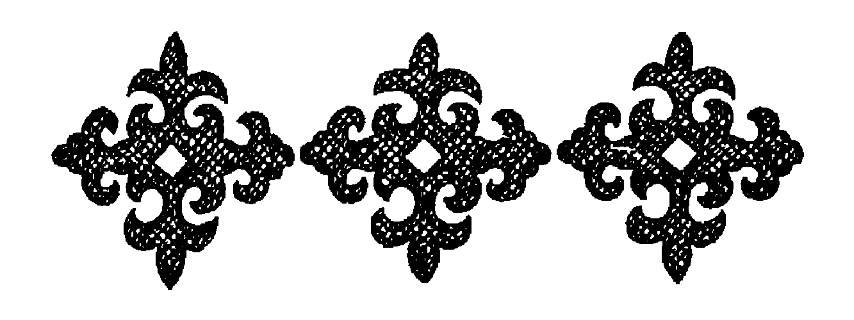
الكلمات البينات ذات الدلالة
تضيع هباء كالاصوات الخاوية

ولكن الاعصار يهدر فى عروقى
حين تفيض على الشط المشاعر .

من الناس من يهزج باشعارى
ولكنها لا تزال بعيدة عن الادراك .

عام ١٨٩٨





يمتص قوانا هذا العالم اللعين
اصبحت هيكلا عقيما ... وقوى مهدرة !
غادرة هى الحياة ... والأمل ينطوى على مرارة
ونحن نرمى سوء حظنا على الاخرين !

قد تستحيل افراحك الى حزن عميق
ان غرقت فى الباطل ... لقاء ايام معدودات
لن تجد فى شعاب الارض شيئا
تنسى من اجله الأهل والاصدقاء ؟ !

لو لم تشف الكلمات ... فامسك عليك نفسك
تعود اللسان ان يلوك الخداع والكذب
ان عرفت افاقا لاحلامك ... وطموحك ،
حجبت عن روحك الصدق ، وصفاء السريرة .

عام ١٨٩٨

الا يكون الثرى سكنا رطبا لجدثى حينما اموت ؟
ويتلعثم لسانى الحاد مثل عذراء حيية ؟
الا يستحيل قلبى باردا مثل الثلج ..
هذا العنيد الذى صارع الشر والكراهية .

سوف تحين ساعتى التى لا مناص منها
سوف تقبل اواه ... طال المدى .. ام قصر
قلبى يتلعثم فى يد الاحفاد ... ترى ايحفلون به ؟
ام يلومون نابضا اعياه الخفوق ! ؟

اواه يومها لن استطيع ان ابوح
احرار انتم فى لومكم .. وتثريبكم
اليس من القسوة ان اعاقب مرتين ؟
ومع ذلك تشوهون دمى ، وتنهشون روحى !

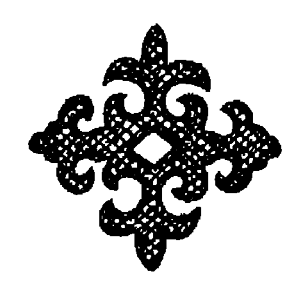
تغلغلوا بعمق فى افكارى وخطراتى
فأنا انسان محير وغامض ...
كان دربى وعرا ... ومليئا بالاشواك
خفف اللوم .. فقد قاتلت العتمة الجاثمة !

ترعرعت مسربلا بالخيلاء فى طفولتى
وثرثارا كنت ... واحيانا قاسيا وشريرا
ثم غدوت راجح العقل ... مستقيما
ومع ذلك شتان ما بينى ... وبين الكمال !

قيدوا خطوى .. وحرمونى من الحرية
اذاقونى المر ، ولم يصغوا الى كلماتى
ضيقوا الخناق على .. وامطرونى تقريعا
ما امر النصيب ... حين اموت دون اثر !

لا تكتفى بالحسرة ... يا اجيال الغد
لقد انتزعت مكانتى ... من اتون الجحيم
حسبى من الذنوب هذا الشعر ...
يأبى الا ان يهتك كل اسرارى .

عام ١٨٩٨



ان ركضت وراء رغائبك

صار قلبك .. كالطلل

يتبدد شعاع العقل

وتغدو مثل السائمة

افكارى تنحدر من الاعالى

لتغوص فى الاعماق البعيدة

يااصدقائى .. ارهقت روحى

وها انذا احن للنوم الطويل .

حين تكبح جسدك النهم

تأسف على مسكنته

وحين تتعدد شهواتك

تتبعثر فى الصراع

الهوام لا روح لها

والقطعان تمضغ الخواء

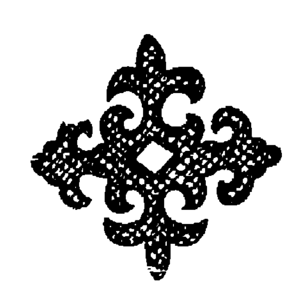
جدباء وباهتة حياتك

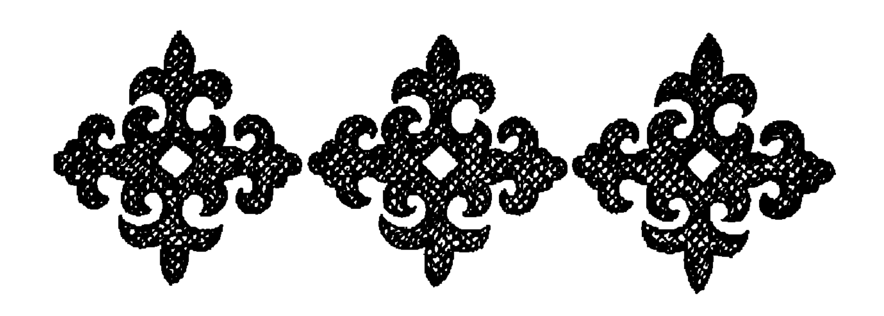
لو تسكعت على الشواطئ

من تحيط به لجة الظلام

لا يقال انه .. انسان
شعبى غارق فى الجهل
لا يدرك مغزى الحياة ؟

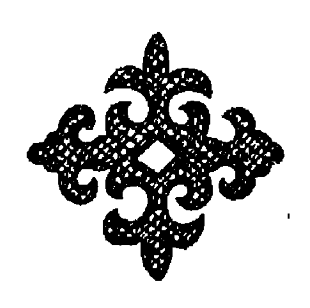
عام ١٨٩٨





تتابع الايام متشابهة ورتيبة
وانا انشد السكينة بلا جدوى .
وتومض الافكار طائرة بلا اجنحة
وهيهات ان تلحق بها الرياح .

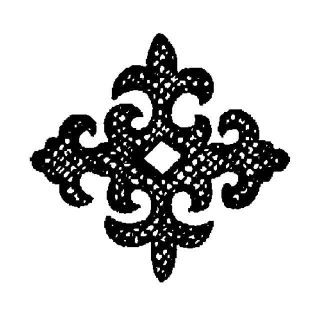
عام ١٨٩٨

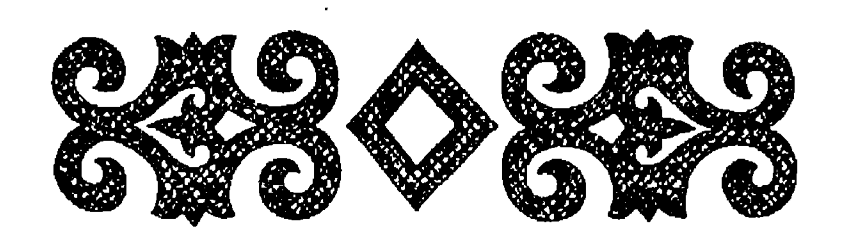


متهافتة دقات قلبى كأنها لا تسمع
ويضيق صدرى بهذا الخافق الحائر
وفجأة يتدفق الى شرايينه الدم الحار
ثم تصبح احلامى مفزعة فى الليل البهيم
جثم على المرض اللعين ... باعداد لا تحصى
جف معينى وناخ على كاهلى الكدر الثقيل
وحينما ارى اناسا .. شحيحى الادراك
اشيح بوجهى متقززا :
قلبى ظمآن الى الايام البيض التى ولت
وينسج حاضرى اللعنات والأكفان
فاحلم حينا بالنوم والراحة الابدية
او تتردى يائسة تبحث عن الالم الحاقد
وتستدر الدمع وتترقرق بالكآبة
مستغرقة فى العلل التى لا شفاء لها
او تطمرها .. وتخفيها فى الاعماق البعيدة
متماسكة حتى لا تغدو اضحوكة للناس .

دقات قلبى متهافتة لا تكاد تسمع
يرتعد الفؤاد وتنفتح امامه العلل
وفجأة يتدفق الى شرايينه الدم الحار
او يتهاوى كأنه قد كف عن الخفوق .

عام ١٨٩٨





كانت دماؤك تتضرم فتوة
كانت أعراسا ايام الشباب
جذلان والحياة مزهرة حواليك ،
والناس اصدقاؤك من اول لقاء .

صفاء الروح والحب يظلانك
والندامى كالمعصم .. كالأسراب
ترى ... اتعود هذه الايام الجذلى ؟
كنا نتنفس فيها املا ... وسعادة .

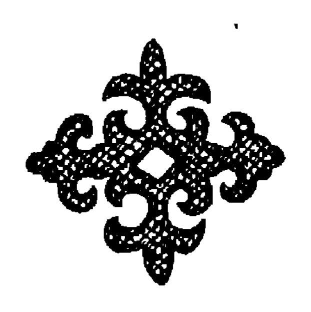
ايتها الايام الذهبية .. اين انت ؟
ياطالما ماج الفرح فى نهر الحياة !
كأن طيوفها بالامس ... هذه الذكرى
ولكنها تنزوى بعيدا ... فى كهوف الزمن .

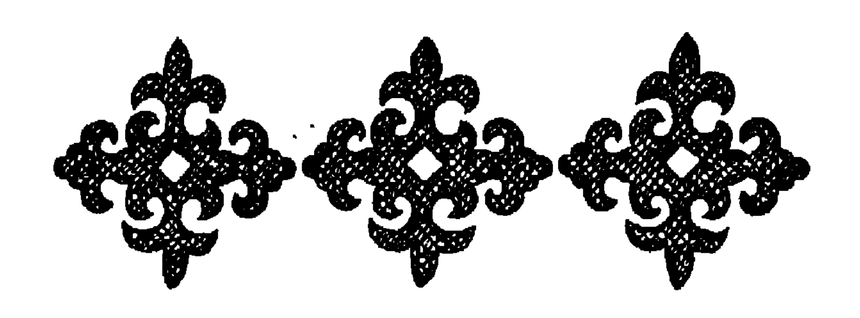
لتتضرع .. ولتملأك الحسرة
فهيهات ... ان يعود ما فات .

مضى الحب ... فلن تلحق به ،
وولى الاصدقاء .. فلن تراهم بعد !

هات دمعا ... لعينى الجامدتين
والصبر ... حتى اتماسك .
لو كان لقلبى بلسم ما
لا نتزعه حتى من جراحه !

عام ١٨٩٩





كم هو موحش هذا العالم
لقد مزق قلبى بضراوة
ولم لا يوغل بسكينه فى حشاى ؟
لو القيت بالجميع من ورائى .

غاب الاحبة فى ظلام اللحود
وباع الاخرون انفسهم للشيطان
وليس لى فى جزيرة الحياة احد ،
وطوفان الاعداء والطامعين يفغر فاه !

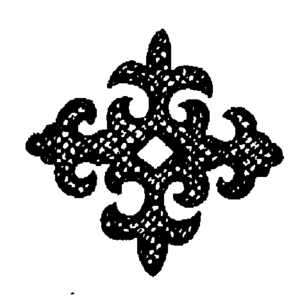
لا يلوح على البعد امل
وشبح الشيخوخة يظللنا
المرفهون والتافهون ...
مثل الرمال الرخوة .

ايه ايها الممزقون والحزانى
تأملوا فى الألم الذى اغص به
وتعزوا من الاهوال التى تصرع القلب
وتحيله مخضبا فى اشلائه !

عام ١٨٩٩

في داري كلب ربيته
عض بناني يوما
ومسكت القوس لاطلقه
كاد السهم ينوش العظما .

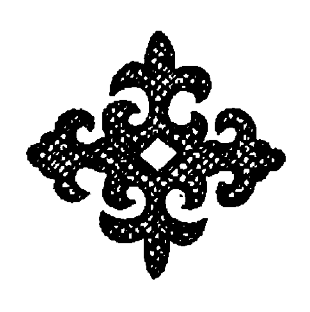
عام ١٨٩٩

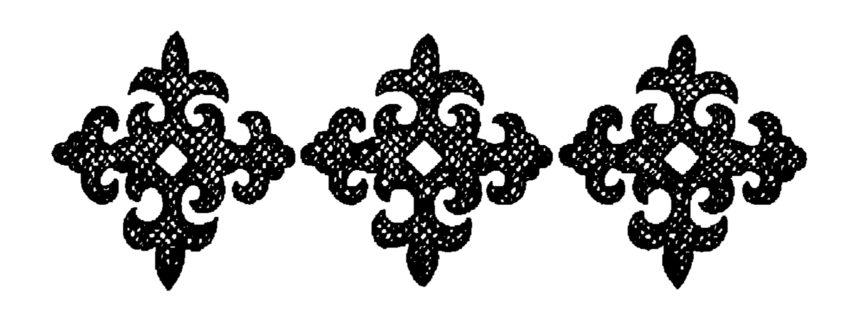


لماذا يفتر ثغره
ان كان قاسيا حقودا
يغير جلده كل يوم
كأنه الحرباء المتلونة
يرتدى مختلف الازياء
حتى يجذب الناس اليه
واصبح وجهه صارم الملامح
يحمل معالم الرئاسة والاستعلاء
من اول لقاء ... يضغط على يديك
يلتف حولك متملقا ... ومداهنا
وحينما تدير ظهرك ... يوما
يصرعك بسلاح الغدر .
اليوم هو عبدك الاسير
محتشد للتضحية والفداء
اليوم يتوقد كالنار
وغدا يخبو ... كالرماد
يبصق على كل حقوقك
ويهز ذنبه ... كالشيطان

كلماته بيضاء كالثلج
واعماقه سوداء كالهباب .
مسكين يعاني سكرات الموت
لا حول له ... ولا طول
المرض يسوقه للهاوية
والقضاء .. ينتقم منه .

عام ١٨٩٩





قامتك شامخة .. بالزهو
كأنك تبلغ الجبال طولا
كالقصب ينهل من اشعة الشمس
حينما يغطى العشب الوهاد والنجاد
اربعون عاما ضجت كالتيار الهادر
واقبلت ايام الحصاد والهشيم
فى القيظ والصقيع .. تضرم وارتعد
قلبى .. لكنه لم يسقط صريع الوجل .
ما خر مفزعا .. اوكف عن التغريد
حفرت اخاديد الالم والغناء فى وجهى
ومثل السنابل التى حان حصادها
تدعوك الارض الى حضنها البارد
لا تستسلم الروح للاقدار
كأنها خالدة على هذا الثرى
ولكن المنية تقطفها بالمنجل
فلنتأمل جوهر الحياة والمصير
اليوم رجاء ... وغدا هباء .

عام ۱۸۹۹

وحيد انت ايها القلب
فلا تبحث عن صدى لانغامك
الصمت ... اذا اغتربت الافكار
ولم تجد لها مسكنا !
ان لم تجد الروح لها مجيبا
فمن الجور ارغامها على البوح
فالى اين تقودنى ياقلب
وتحكم على بالحرمان
السعادة والصداقة والسكينة
ارخصت قيمتها ايادى المنافقين
التى ارهقت بالظلم
وتردت فى الخداع
ستحين ساعة القصاص ،
التى لا مناص منها ..
من اساتذة الخيانة ..
العراة من الشرف

من يقاسمك الماسى

لو اعياك البحث عن الوفاء ؟

كيف تبترد احاسيسك

ان خنقتها الوحدة والعلل ؟

النذالة حطت رحلها

فمن يستحق اشفاقك ؟

والناس يتردون فى الشح

ويركعون للمتاع الفانى !

الكلمةِ الساقطة المباعة

لا تنفذ الى القلب الشريف

وصغير النفس ... اللئيم

لا يملك لغيره نفعا ...

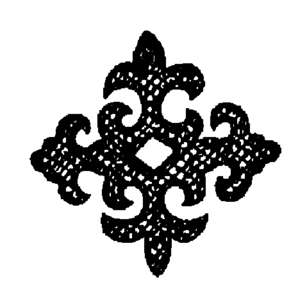
عبثا ترتعش كالمنار

وترهق اوتارك ...

فماذا يجدى الغناء ؟

ان ضاع الحب والاصدقاء !

عام ١٩٠٠

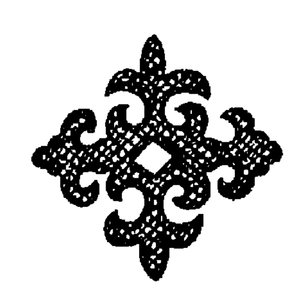


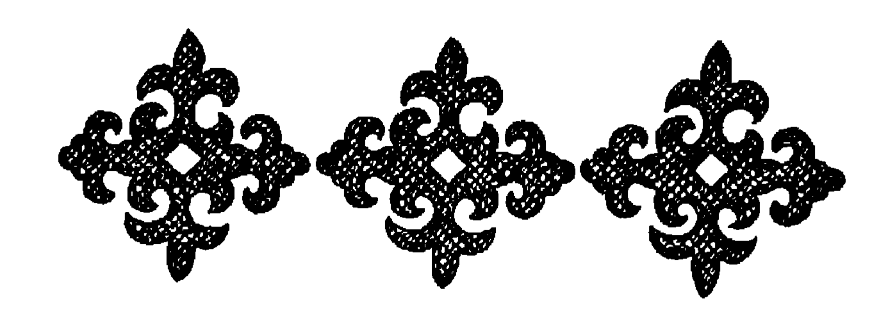
حينما تتلاشى الظلال
وتذوب جوانبها ... وتتحد
تنطفىء شعلة الشمس
وتنحدر في الافق الغربى
تقرع اجراس الحزن في الظلام
وابث نفسى الضعف والشجن
وتتعرج امامى الذكريات
امد عليها جناحى الواهنين
ارتقى الماضى ... وادعو مواكبه
وانقب في الذاكرة المتعبة
عن ايام مشمسة
وامال ... لم تخب
الاشياء التى لم تعلق بالخاطر
ضاعت في متاهة الزمن
وانت تسمم روحك
غائصا في جرح لم يلتئم
وحيدة في الصحراء
تنتحب افكارى ...

عبثا اعتصر الذاكرة
ابحث عن ايام مشمسة

بذرت فى حياتى الخير
وكان حصادى شرا
سوف اقبع ايامى الأخيرة
فى زوايا السكينة والعجز .

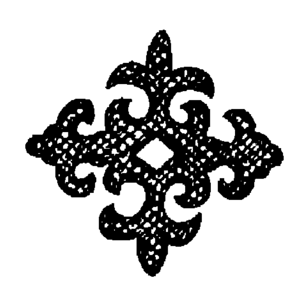
عام ١٩٠٠





صوحت وريقات الامل
وخانتني امالي العراض
حينما احدق في الايام الغابرة
يخر فؤادي صريع الرهبة !
الحياة التي فرت لم اقطف ثمارها
ماذا لو لم اعرف الاحلام الخادعة ؟
تأمل في ساعديك الواهنين
يضيق صدري ، ولا ينطلق لساني
ارأيت الى السراب في صحراء قفر ؟
الناس غرباء ، وزائلون كالظلال
متماثلو الافكار والمشاعر الجوفاء
لكن السكينة — اصدقائي — في الضمير .

عام ۱۹۰۱



آن لى ان ابصر بفكر حصيف
ما هى حقيقة الوجود ومغزاه
بعد ان ولى الشباب كالسراب
كأنه مياه كانت تلمع من بعيد .

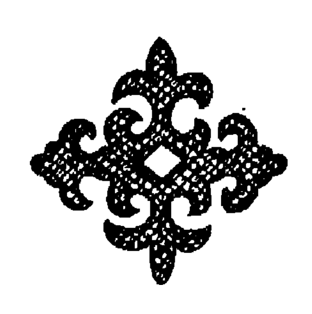
لا تستأثرن بلبك الكلمات المعادة
فلا تجعلنها تأسرك بقيودها
ولتتعفف عن الخواء التافه
ولتصن روحك ... كالدر الغالى .

ان كان بيد الحق امرك ، وهو الحكم
فلن تبيع روحك الحرة او ترهنها
سوف تنحنى لحبات العرق ، وتجلها
وتعلم اين الصداقة ؟ واين العداوة ؟

قوة البصيرة ... شعلة تضىء الظلمات
ان وهبتك الطبيعة اياها ... فلن تهان ابدا
هيهات ان يعرف الجاهل الغث من السمين
وفاقد الادراك ... يحدودب ... وتعييه الكهولة !

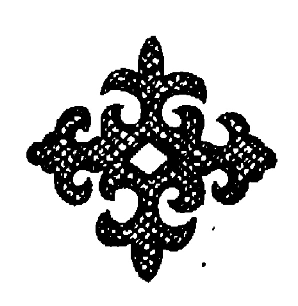
عفيف النفس يترفع عن المتاع الزائل
والخسيس يحشر انفه فيما لا يعنيه
ومن السخرية ... ان يكون تعس المصير
منبوذا ... يتردى فى هاوية الفقر والمذلة .

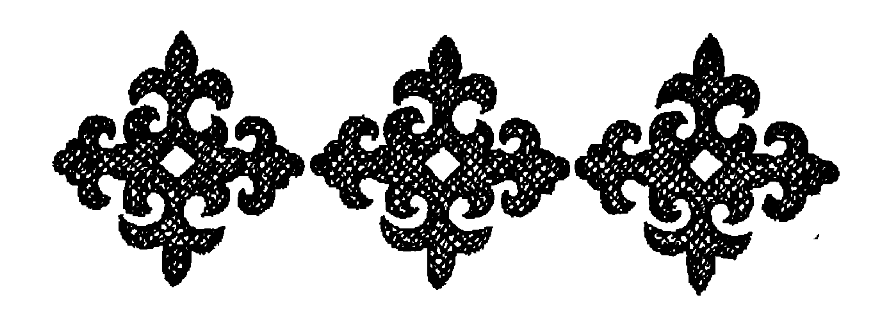
عام ١٩٠١



ترود دنيا الحب والصداقة
لشد ما لاقيت من جحود
اللمحة البريئة المشتاقة
هسيسها حلو بلا حدود !
فازرع ان استطعت فى الطريق باقة
واجمع لها ما شئت من ورود
يخب فى الصحراء خطو الناقة
ولا تبالى فى الدجى مزالق الصعود
ان رحت تبكى نائيا قد شاقه
بأن يراك كالمنار من بعيد .
الشعر ليس ابحر الرشاقة
الشعر نفحة الحياة فى الوجود !

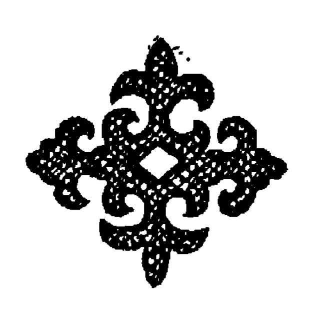
عام ١٩٠١





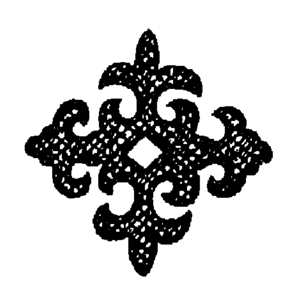
تزدهى الفراشات بحلل الضوء الشفيف
اليكن السلام من الزهر النعسان
ولكن العاصفة تزمجر ... منذرة بالشر
وتسحقكن ... وانتن لا تملكن فرارا !
فى هذه اللحظة تلطم الخدود ... فقد مات
انسان ... وتزغرد القلوب فقد ولد اخر
من يقتله الشك ... وتقتله العجلة
ليعلم ان الارزاق قد قسمت والمصائر !
الحياة قهقهة وانين ، تضرم ودخان
فلنفرح بطرح الاوزار عن اكتفانا .
الزمن يسوق الجميع ... الى المنفى الرهيب
فاغتنم ايامك ... قبل ان تحين المنية .

عام ١٩٠٢



يتألق نهر السعادة فى القلب
كيف له ان يخفق دون اعراس
حينما تخمد جمرة الاحساس
فليس ثمة ما يبهج الانسان .
القلب نبع الفرح والأسى
والعقل عرس الضمير والشرف
يتوجان صاحبهما بالمجد
والتجاسر والادعاء يطيران هباء .
فى رعشة الشيخوخة يبرد اللهيب
ومن اين للرماد ان يبعث البهجة ؟
سوف ترغمك الايام على الاصغاء
وانت تعانى من ذل العجز .

عام ١٩٠٢



حينما تدمدم البروق

وتزمجر العواصف

وتصخب آلهة الرعد فى السماء

ترتدى الارض حلتها السندسية

ومثل الصاعقة التى لا ترحم

من يعترض طريقها النارى

تخترق الكلمة شغاف القلب

يعرف شرفها اولو النهى ...

من يقدسون جلالها

وما تشعه من مضاء

فى تبتل ... وخشوع

وليس التافهون من ذوى اللجاجة

ليتهم يتخففون من الاوزار

التى تنوء بها الظهور

ولكنهم يسترخون كالسائمة

يمضغون الخمول والخور

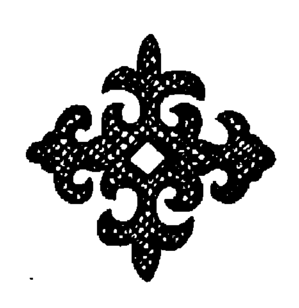
اية حياة هذه !

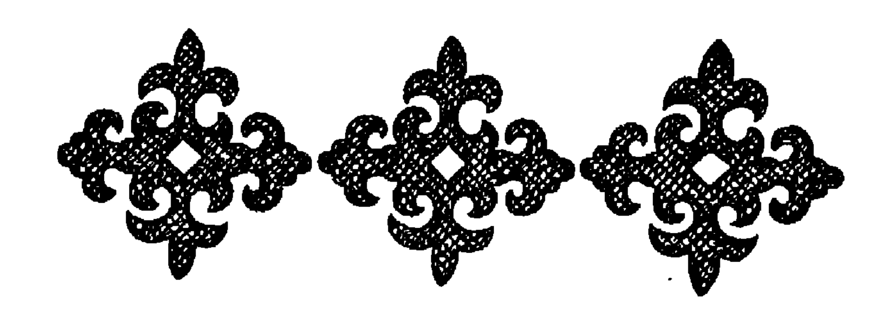
وای اناس اولئك ؟

واحد اخرق

واخر لا يلوك سوى الخواء !

عام ١٩٠٣



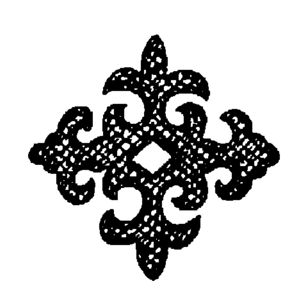


اشعار من مختلف السنوات

بالله ... خل اوتار القيثار
لا تثر اشجان النفس الولهانة
لا تعذب روحي
فعيناي المغرورقتان لا تريان النور
لا توقظ ذكرياتي الدفينة
والحزن المتراكم كالصقيع
حتى لا تدوم افكاري
في رأسي المشجوج بالأوجاع .
مرحى ... ان اقبلت يحفك البشر
وحدقت في مقلتي
واطفأت اللهب العارم بحديثك
وخففت من اسقامي .

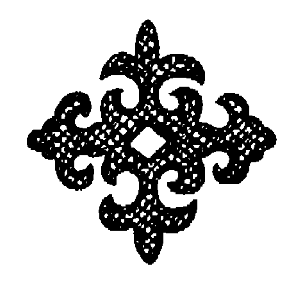
الرقة التي تفيّض منك
تخمد النار الحاقدة
مناجاتك الهامسة ياحبيبي

تبدد احزان النفس
حينما تقبل يحفك البشر
تذرو باللطف احزانى
وتتقد روحى صفاء
وتلتئم الجراح النازفة
خارت قواى ومشاعرى
فى الفراغ والترهات
فلتمد لى يديك البارتين
ولتمنحنى معجزة الالهام .



افكارى الهائمة تنبش الماضى
وتتوالى ذكريات عميقة .. وصامتة
يخبو العمر .. يوما فيوما
اسائلها .. ولكنها خرساء
الى اين ؟ وكيف الوذ من شبح النفس ؟
اكبح جماحها .. واخفف غلواءها
انا المذنب والنذل
خطواتى كانت تنز حقدا
ومثلما لا يحصى عدد الرمال
فقد اعيتنى الذنوب
احدق فى ظلمة القلب
فأرانى مسربلا بالعار
عاجزا عن نزح البئر
الذى يعج بالظلام
سوانى الله طاهرا
ولطخت جبينى بالذنوب
لماذا اعنف نفسى هكذا
وقد ضربت — فى الدنيا — خبط عشواء

بعد ان نأى عنى الاخلاص والوفاء !
وبذرت حياتى مثل الغبى الاحمق
اصغيت الى صوت المجد والعقل
ولكننى سلكت طريقا اخر
حتى تناسق الكذب والخداع
كالعقد اللؤلؤلى على عنقى
اهدرت عبقريتى وابداعى
وضاع شرفى هباء
ظمآن الى بئر الخسة
مثل الغراب الذى يفرد جناحيه ناعقا
انصت الى المديح الخاوى
واتباهى فخورا به
خدعت كل الاذكياء
حتى اطلقوا على داهية الدواهى ...



قصيدتان

الاسكندر الاكبر

طبقت شهرة الاسكندر المقدونى الافاق
كانت الفتوة تضج فى شرايينه
والاباء ، والشجاعة ، والبسالة
ولكنه كان معجبا وفخورا بنفسه
خلف اباه فيليب على العرش
ولم يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما
كان متعطشا للرفعة والسؤدد
يتوق لاحتواء الدول المجاورة
اعد جنوده المدججين بالسلاح
صوب جيرانه المسالمين
حصدت سيوفه الناس
اراق الدماء ... وهوت تحت قدميه العروش
أنهار الاشلاء
حطام المدن والاضواء
كانت تسيل ركاما ،

وتوج عرشه كل الانحاء
ولم يعد ثمة ملك لم يخضع لسلطانه
ولكن الطموح كان يعذبه
ويستنفد قواه ، ويؤرقه
حتى ظل يحلم باحتضان العالم كله .
هاب الامبراطور الدموى
جميع الملوك والامراء
واطلقوا عليه الاسكندر
« ملك الملوك ، وقاهر السلاطين »
طار مجده فى الافاق
كل الدول طوع بنانه
وجنوده المدججة لا يحصرها العد
تشق براياتها الشامخة الارض
فتنهار امامه السدود
ويثير سيفه الهلع
مثل النار فى الهشيم
القواد حوله صاغرون
وهو يحلم باحتضان العالم كله .

ويوما توغل فى صحراء مقفرة
حتى قل الزاد ، ونفذ الماء
تعذبت الخيول والناس من الظمأ
لاقطرة فى هذه الصحراء ولا كلأ .

فتح العطش شدقيه
ليبتلع قاهر السلاطين
واصبح الخدم والعبيد عبئا عليه
وذات يوم كان يتكئ على جواده ،
الذى يلهث من الاعياء
رأى شيئا يلمع من بعيد
كأنه بريق الامل ، او لآلئ المياه
نهيرا يترقرق ويصب فى صحراء
تذوب فيه النسائم والنجوم
وبكل ما يفيض فيه من حب للحياة
ظل يكرع من الماء العذب الزلال
صاح ... هاتوا كل الاسماك الجافة
ورطبوها فى النهر المقدس
وهاله ان رأى السمك شهيا
ذا طعم لا مثيل له
هذه معجزة ايها الجنود
لتشربوا ، ولتغسلوا ابدانكم
ثم لتبدأ مسيرتنا نحو المصب
ربما يقودنا النهر الى بلاد بعيدة
هنيئا فاشربوا ما طاب لكم
ولتذكروا اننى اعتى ملوك الارض
لتهرعوا ورائى بمحاذاة النهر
ولتخضعوا كل المدائن فى نهايته .

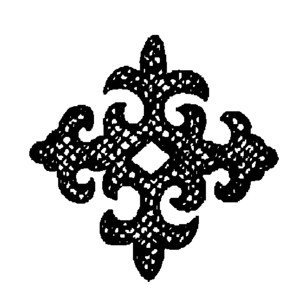
ودقت الطبول ، ورفت الرايات
اعتلى الاسكندر جواده الاشهب
حوافره النارية ، ودرعه الذى يلمع
يختال على وقع الموسيقى والطبول
وقطع الجيش شوطا مرهقا
كان الطريق يتلوى ويتعرج
ثم خطفت ابصارهم قنطرة من ذهب
تسد عليهم المنبع من بعيد .
اراد القيصر ان يفتح البوابة الذهبية
بكل ما يحتمل فيه من شباب ويفاعة
ولكنه عاد يجر اليأس ، ويمضغ الخيبة
راح يتشاور مع خلصائه وقواده
التف حوله المذعنون والأمراء
ماتت الكلمات على الافواه
وتحطم الصمود والجسارة
فالنصيحة عبث لا طائل منه
ماج بالغضب ... وتمزق حسرات
واقترب من القنطرة المشيدة
اخذ يدق الباب بقبضة يديه
ويصرخ بكل قواه « افتحوا »
واصاخ السمع ... ثمة خطوات وراء الجدار
هتف الحارس فى صوت واثق
« لن تستطيع ولوج القنطرة

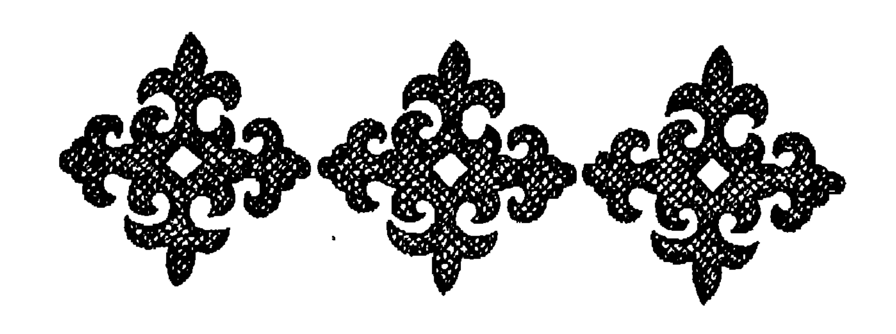
لأنها تفضى الى باب الله »
« هتف الاسكندر » انا قاهر القياصرة
ومن بيده مقاليد الامور
من يتجاسر على اهانة كبريائى
لتفتح الابواب ، ولتبح بسر هذه البلاد »
«لو كنت ذكيا .. فلا تزد عن حدك ياقيصر
انتصر على اهوائك ، واكبح جماحك
انت مفعم بالحقد والانانية والطموح
ولا مكان للاغبياء هنا »
— العظمة تحف بى والجلال
وقد فتحت الممالك ، ودوخت القواد
فلتهتك اسرارك ، ولتبح لى ..
بشئ اتباهى به امام العالمين »
« خذ ايها الاحمق هذا الشئ »
ثم ناوله اياه خلال منفذ فى الجدار
« لتحاول ان تعلم المغزى العميق
وما يكمن فى هذه الحزمة من اسرار »
تلقفها الاسكندر فى لهفة
وعاد مزهوا الى فيالقه
وفغر فاه من الدهشة
حين وجد بداخلها عظاما هشة
كانت اهانة لقيصر القياصرة
صاح «مدمدما ...» وهو يقذف بالعظام

« لماذا يسخر منى هذا الحارس ؟ وماذا يريد ؟
كرامتى طعينة » وانغلقت امامه الاشياء .
اطرق ارسطو ... وكان يتابع الامور عن كثب
فأخذ يلم العظام المبعثرة النخرة
« لنصنها .. ايها القيصر العظيم
فلا اظن الا انها معجزة خارقة »
تدفقت الحكمة من ارسطو
« منثالة كالنبع الثرار
لتأمر بالميزان ايها القيصر
ولتزن العظم والذهب .. لنر ايهما ارجح
ذهب وفضة وياقوت ايها القيصر »
نصب الميزان امام القواد والامراء
وسرح الاسكندر فى خواطره
وقد رجحت قطعة عظم صغيرة
على اكداس من الذهب والفضة
وطار لب الاسكندر المقدونى
فرمى على الكفة الدرع والسيف
وعاد طرفه خاسئا وهو حسير
« كل خزائن الدولة ايها الحكيم
اخف من هذه الاعجوبة الرخيصة
لتتمعن ياارسطو ... ولتقل للقيصر
اى شئ يرجح هذا الشئ »
اطرق مليا ... ثم انحنى على الثرى

وذر قبضة من الرمال على العظام
وخرت كفة الذهب ثقيلة ، ثقيلة
وتراقصت الكفة الاخرى كقبضة الهواء
عقدت الدهشة الألسن
واختلى الاسكندر بالفيلسوف
« ما هذه المعجزة التى تبهر العيون ؟
اين عطاؤك وحكمتك .. وما يطفئ غليلى »
قال الفيلسوف « هذا العظم من انسان العين
وعين الانسان نهمة لا يشبعها شئ
حسبها تراب الارض وحده
حين تتمرغ فى تراب القبر »
عين الجشع النهمة
تردى بكرامته فى التهلكة
وحينما تعود الروح الى بارئها
تظل العين عظاما نخرة بلا بريق
حنانيك ايها القيصر ...
فانك لم تمر بالقنطرة الذهبية
وهذا العظم ذكرى وعبرة لك
حتى يكون نبراسا فى حياتك »
غرق القيصر فى دوامة التأمل
وادرك حكمة الله وارادته
وتأمل فى الاباطيل ، والغرور
عاد بجحافله مكسور الخاطر

حكايتى قصيرة ، قصيرة
فلتسبروا اغوارها
اياكم والتفاخر والوعيد
وملء الاعين الفارغة بالتكالب على المتاع
لتعلموا ان الدنيا فانية وباطل الاباطيل
فلا تمتهنوا ارواحكم لقاء الملذات
ولا تبيعوا ضمائركم وشرفكم
فالخداع والسمسرة لا يقودان للخير
لماذا تتيه غرورا ويستهويك الثناء
وتغلق قلبك للنصيحة
والناس يتهامسون حولك
ثم يزجون لك المدح زلفى
الصفيق والمغرور يشيحان بوجههما عن العالم
ولا يريان فى المرآة سوى وجهيهما
بينما يعرف الناس مقدارهما
ويرون كل مخازيهما التى تثير السخرية !





مسعود

محمد يا حبيب الله : الهم الشاعر ان يحكى
وان تنثال افكاره ساطعة ، وعابقة
يقال انه فى عهد الخليفة هارون الرشيد
عاش شاب يافع يدعونه مسعود
وقد ساقته الاقدار يوما
الى مكان ناء عن مدينته
وهناك ارتطم بقاطع طريق
يسلب بلا قلب ... شيخا لا حول له
واستغاث العجوز : النجدة يااولى الرحمة
ولكن احدا لم يتجاسر على التضحية بحياته
جاشت الشفقة فى نفس مسعود
القى بنفسه فارسا مخلصا
فأمسك بتلابيب قاطع الطريق
ولكن الخيانة طعنته بخنجر
ثم ولت الادبار !
فتح الشيخ عينيه مذهولا

وارتمت اوصاله المرتعدة بالخوف
على جرح ينزف دما .
اراد الشيخ ان يكافئ الايثار
وان يرد جميل المروءة والنبل
« ايه ايها الفارس الهمام – قال لمخلصه الجسور –
ما اجدر ان تتوج شجاعتك بالمجد
انقذتني من موت لم يكن منه بد
فليكافئك الله ايها الفتى الماجد
لست وافر الثراء ولا جاه لى
فأنا احد البسطاء كما ترى
كاد الوحش ان يمزق عنقى
وها انذا اشيد بمروءتك الخالصة
غريب انا ياصاحبى ، سأحمل رحلى غدا
بعيدا عن مدينتكم ... فى ارض نائية
ولكن بحق الله ...
لتقبل منى هدية متواضعة
اعلم ان تضحيتك بلا هدف
وان الله بعث بك لانقاذى
ادعوك يا اخى بكل مقدس وجليل
ان القاك فى مكان ليس صعبا ،
ان تحث اليه الخطى »
« لتثق ياوالدى اننى لبيت نداء الواجب

حين وقفت بجانبك ، اذود عنك
ولكن لو استحلفتني بالله
فمن اجله سأ لبى رجاءك ... وتعانقا » .

وفي الصباح المبلل بالندى
ذهب مسعود الى المكان
وقاد الشيخ الفتى بيد رحيمة
الى مقابر موحشة ومهدمة
وهناك تحت شجيرة وحيدة
تدلت عليها ثلاث ثمار ناضجة
حمراء ، وبيضاء ، وصفراء
قال الشيخ « لتختر واحدة منها
البيضاء ستحيلك اكثر الناس فطنة
والصفراء ستغدق عليك ثروة بلا حد
ولكن لو التهمت الحمراء ياصديقي
فكل نساء العالم سوف يركعن تحت قدميك »
استغرق الفارس يتأمل هذه الكلمات
وسرحت خواطره فيما وراء المعاني
« لا اريد البيضاء ، ولا الصفراء »
هات لي الثمرة الحمراء ارطب بها جوفي »
قال الشيخ ... «انت حر في ارادتك
ولكن ليس لديك في الشكاة حق بعد
ثم ... لماذا يابني

لا تريد ان تكون اغنى الناس واذكاهم ! »
قال الفارس « لو اخذت يا ابى البيضاء
فسوف اكون عبقريا
ثم يقودنى عقلى المتسلط
الى الكوارث ، والنكبات ، والجحيم
لن اجد حينئذ من يماثلنى ذكاء
فالغافلون والاغبياء اعداء العقل
عبثا ابحث عن الشرفاء وذوى النهى
وسوف افقد امنى وطمأنينتى الى الابد !
سيمزقنى الضمير ياابى ، ويعذبنى
وتطاردنى الاحزان فى احلامى
الأشياء مرة المذاق فى حلقى
وعبثا احيل الحمقى الى عقلاء .
وهبنى تناولت الثمرة الصفراء
ثم تقلدت مفاتيح الثروة والجاه
الن يسيل لعاب الحاسدين ، ويتأجج حقدهم
وتنصب المكائد لاستنزافى ، وكسر شوكتى ؟
عزيز عليهم ان ارفل فى الغنى الفضفاض
سيكون اجلالهم افتعالا وتملقا
فالناس نهمون ياأبتاه حتى القرار
غناى سيورثنى التهلكة ، ويسلبنى هنيء النوم
ما اتعس ان تكدس الثروة ... دون ان تريق عرقك
النهب والاحتيال لا يضيف للعاقل مجدا

الناس لا يعون ذلك يا ابتاه
كيف تجلب الصداقة المرتشية سعادة ؟
ان كان وراءها هدف رخيص !
لو كفت يداك عن العطاء
ناشك الناس كالكلاب
وترديت فى مستنقع الحيوانية
اصبحت شقيا ابد الدهر
هات لى الثمرة الحمراء الشهية
فأنا انشد الضمير ... والبال الرائق
النساء زينة الحياة الدنيا
فما اروع ان يكون نصف العالم اصدقاؤك
كل انسان فى هذا العالم
له ام ، او زوجة ، او بنت
سوف اسلب شغاف القلوب
وامتلك مصائر البسطاء والملوك
لأن زوجاتهن وبناتهن سيقفن الى جانبى
العالم تتخمه العداوة والبغضاء
والناس غارقون فى العراك والتناحر
لو ارادوا ان يسوقونى الى حمأة السقوط
فسوف يشد النساء من عضدى .

الحمراء كنز ياابى لا يقدر بمال
ثمرة السعادة والحب والجمال

لا تظننى اننى لم اعمل فكرى
فقد اخترتها بعد امعان وترو » .

«انت محق يا بنى ... لتأخذها هنيئا لك
اراك هكذا ... ذكيا وغنيا
اننى اباركك فلتتوجك السعادة
لقد شرحت قلبى ببصيرتك ، وصوابك » .

لم يكن الشيخ عبدا فانيا
كان سيدنا الخضر .. ملك الحق والعدالة
اسعده نبل مسعود ، ونظره البعيد
فأضفى عليه من بركاته ويمنه .

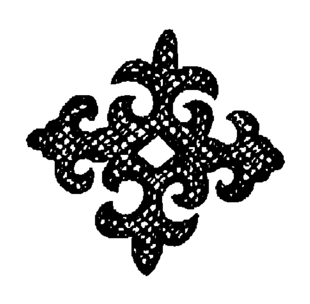
يقولون فى الخبر المتواتر
ان بركات الشيخ لم تذهب سدى
اصبح مسعود شمسا مضيئة للدين
وكعبة ، وملاذا وحصنا للفقراء
كانت النساء بيدهن مقاليد الامور
فمن يعث فسادا ، او يعبث بنظام الكون
ومن ينهب الثروات ، او يقوض الاحكام
فالمرأة هى الحكم ، والقول الفصل
لو حدث هذا فى سالف الزمان
فلماذا نعجب ان فقدنا الشرف والرحمة ؟

بودى لو هربت ، مطلقا ساقى للريح
لو لم يكن وطنى عزيزا ، وثراى مقدسا .

يحكى ان مسعودا غدا وزيرا هماما
يدير امور المملكة للخليفة
جاءه الخضر فى الحلم يوما
وقال له بلسان حكيم
«حذار يابنى ... سوف تمطر السماء
حقدا ، وسما ، وجحيما
من يشرب منه ، سوف يسلب عقله
سبعة ايام حسوما
يسمم المطر الاسود كل الابار
الانهار ، والبحيرات ، والغدران
سعيد من يدخر ماء قبل ان تسيل السماء»
قال مسعود «ياامير المؤمنين
سيحل علينا الخطب الجلل
ازف وقت المصيبة»
كان القصر قد تزود بالماء القراح
تجهمت السماء ، وفتحت افواه جهنم
طار صواب الناس ، وتحشرجت اصواتهم
ضجت الدور ... وانتحبت السماء
ونسى الناس كل شئ ... حتى الاحلام
وذات يوم تراكضوا صوب القصر

تدفقوا كالموج العارم ... مرتعشة سواعدهم
كأن طائرا من الجنون يفرد جناحيه
ويزعق فيصم اذان الخليفة والوزير
خرج الخليفة للشرفة مسلوب الارادة
يحاول ان يطفئ لهب الناس
«اواه يا شعبى ... لقد فقدت حجاك
لتغرق هذه المهانة فى النوم الطويل»
تفرق الناس من ساحة القصر ... غضبى
وساد اللغط والهرج ... والصراخ
قالوا ان «الخليفة والوزير فقدا الرشد
سوف نمزق جسديهما شر ممزق»
عادت افواجهم الى الساحة محتدمة
واعلنوا الخليفة بما عزموا عليه
دب الخوف فى اوصاله
وقال «دبرنى ايها الوزير الحصيف»
«ليس من مخرج ياامير المؤمنين
غير ان نقاسمهم هذا الجنون
لقد فقدوا الرشد ، فهم لا يفقهون
وسيقطعون ارجلنا وايدينا من خلاف»
ونهلا من المطر الاسود السام
ورقص الخليفة والوزير فى حلبة الجنون المطبق
ترامى الناس على اقدامهما
يطلبون الغفران والمعذرة

وتفرقت افواجهم للدور
رؤوسهم مطرقة ، وارواحهم مثقلة بالذنوب
وهكذا جنت روحان غاليتان
ياطالما فاضتا بالفكر النير .
هكذا فى كل زمان
سوف يتردى فى مصيره المشئوم
من يصغى للجهلة معصوب العينين .



محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وأبديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب ، وترجمته وشكل عرضه ، وطباعته وأعربتم لها عن رغباتكم .

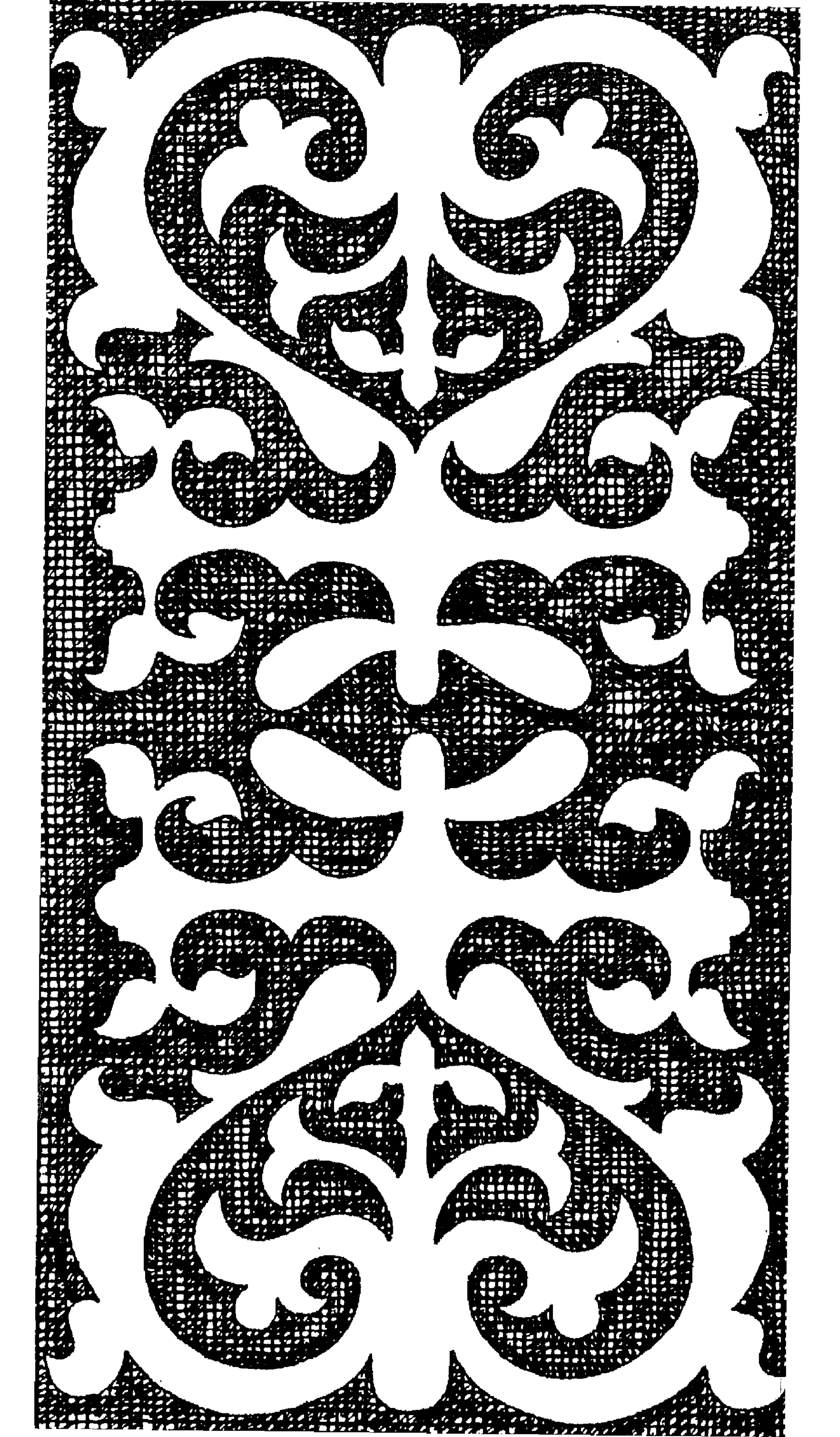
العنوان : زوبوفسكي بولفار ٢١ ،
موسكو – الاتحاد السوفييتي .

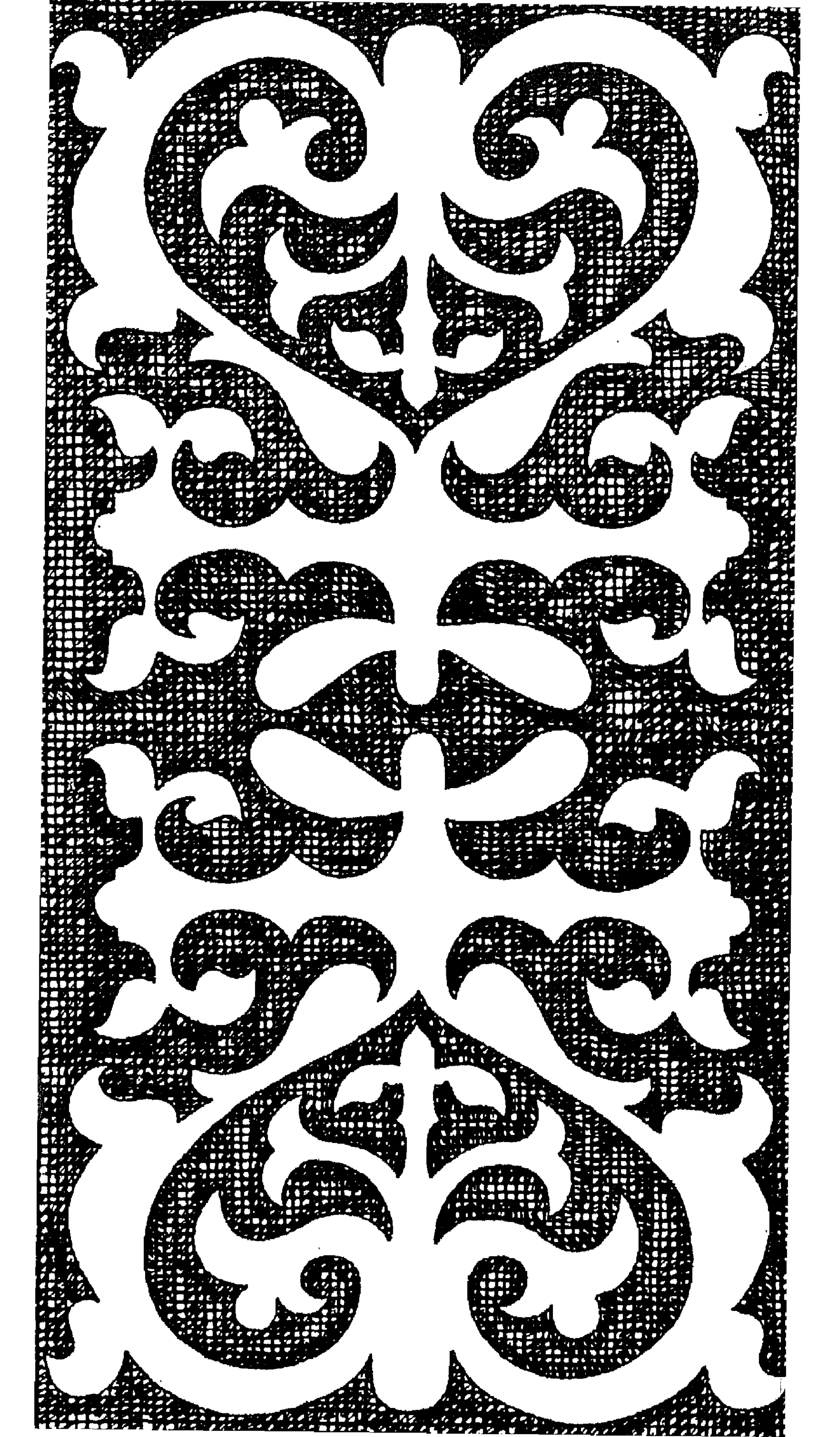
Художественный редактор *В. Пушкарева*
Технический редактор *Н. Андрианова*
Подписано к печати 23/XII 1970 г. Формат 84×108[1]/32.
Бум. л. 4. Печ. л. 13,44+1 вкл. Уч.-изд. л. 6,7.
Заказ № 2634. Изд. № 11691. Тираж 5.000.

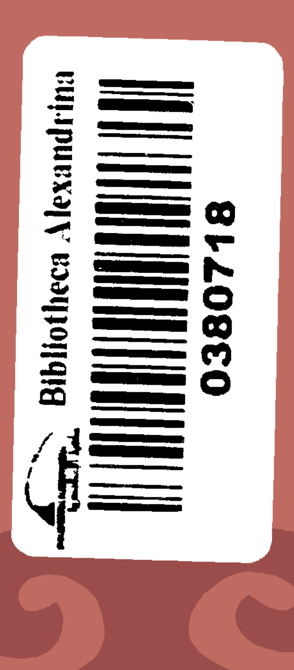
Издательство «Прогресс»
Комитета по печати при Совете Министров СССР
Москва Г-21, Зубовский бульвар, 21.

Московская типография № 7 Главполиграфпрома
Комитета по печати при Совете Министров СССР
Пер. Аксакова, 13.

44






Bibliotheca Alexandrina
03880718